

الثورات القومية في أوروبا عند مطلع القرن التاسع عشر ما بين الدول الخاضعة للسلطة المسيحية
والخلافة الإسلاميةNational revolutions in Europe At The Beginning Of The Nineteenth
Century Between Christian States And The Islamic Caliphate

أ. فاطمة بن عيسى، جامعة وهران أحمد بن بلة 1 (الجزائر)/ مختبر تاريخ الجزائر جامعة وهران 1

fatbenaissaa@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/08/08

تاريخ القبول: 2021/08/06

تاريخ الاستلام: 2021/05/07

الملخص بالعربية:

إن تاريخ القرن التاسع عشر مطبوع بطابع الحركات القومية والتحررية، فجاءت هذه الدراسة للنظر إلى التاريخ من وجهة نظر الفكرة القومية والمبدأ القومي، فقد بدأ نمو العاطفة القومية عند مطلع القرن التاسع عشر وتمثل بحركتين، حركة خاضعة للسلطة الأوروبية المسيحية دفعت بالشعوب التابعة لدول مختلفة إلى الاتحاد في دولة قومية واحدة والتي نراها في بعض الدول والإمارات الأوروبية من خلال الثورة الإسبانية والإيطالية والبلجيكية، فأصبحت القومية قوة مهمة في العلاقات الدولية، ودفع هذا بالدول الأوروبية إلى تشكيل قوة عسكرية تعمل على قمع الثورات القومية أينما حلت. أما الحركة الثانية فهي حركة أوروبية والتي دعت الشعوب الخاضعة للسيطرة الخارجية أو بالأحرى خاضعة إلى للسلطة الإسلامية المتمثلة في الدولة العثمانية إلى التحرر؛ وهي قضية الأقليات القومية الأوروبية مثل القومية اليونانية.

كلمات مفتاحية: القومية؛ مؤتمرات؛ اليونان؛ الدول الأوروبية، الدولة العثمانية.

Abstract :

The history of the nineteenth century is marked with nationalism and liberation movements, this study came to look at the history from the point of view of the nationalism and the principle of nationalism. The growth of national feeling began at the beginning of the nineteenth century and represent two movements; a movement under the European Christian authority that pushed the peoples of different countries to the union in a single nation-state, which we see in some European countries and emirates, such as the Spanish, Italian and Belgian revolutions, which lead that Nationalism has become an important force in international relations, and this has pushed European countries to form a military force that works to suppress national revolutions wherever they happen, while the second movement is a European movement under a non-local authority. An Islamic organization called on people under external control to be free from this control. It is the issue of European national minorities under the Ottoman state, such as Greek nationalism.

Keywords: Nationalism - Conferences - Greece - European countries - the Ottoman Empir

مقدمة:

تميز التاريخ الحديث في مجال التنظيم السياسي بترسيخ دعائم الدولة القومية خاصة عند بداية القرن التاسع عشر الميلادي، فقد شهد ظهور كيانات سياسية جديدة وخطوات نحو التكامل بين كيانات قائمة لعبت دوراً مهماً في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في القارة الأوروبية، وقد تبنت شعوبها مبدأ القومية واعتبرته هدفاً وغاية نحو بناء الدولة القومية على أساس فلسفة الأمة التي تستند إلى إشتراك أبنائها بروابط اللغة والتاريخ والشعور المشترك مثل اسبانيا وإيطاليا وبلجيكا واليونان؛ فكان ظهور الدولة القومية كقوة تقابل وتصارع النظام الإقطاعي والكنيسة إلى الحد الذي أصبحت بدلاً عنها وتشكل مظهراً من مظاهر بلورة الفكرة القومية عن الشعوب الأوروبية.

وأخذت هذه المظاهر حركة الانبعاث في عصر النهضة وقيام الامبراطوريات الأوروبية، وأصبحت الدول والكيان السياسي يضم قوميات عديدة تخضع لسيادة دولة واحدة؛ ولكي تكون الصورة واضحة لأبد من إلقاء نظرة كاملة على نوعين من القوميات حسب نوعية السلطة الخاضعة لها سواء المسيحية أو الإسلامية؛ فهل كان للدول الأوروبية الكبرى موقفاً موحداً وثابتاً اتجاه هذه الحركات؟ أم كان يختلف حسب السلطة التي كانت خاضعة لها؟.

أولاً: الثورات القومية ضد السلطة المسيحية وموقف الدولة المتحالفة منها:

يسمى القرن 19 بعصر القوميات نتيجة تغلغل الفكرة القومية في نفوس الأمم الأوروبية والتي غيرت معالم خارطة أوروبا السياسية حيث انتصر مبدأ حقوق القوميات في الميادين الدولية. وكان في أوروبا عدة أمم موزعة بين دول مختلفة وبالعكس من ذلك كانت عدة دول مهيمنة على أمم مختلفة وحدود الدول كانت تتقرر في أغلب الأحوال بنصوص المعاهدات التي تعقد بعد الحروب، وقد كانت تتغير في بعض الأحوال دون حرب وقتال.

1- الثورة الإسبانية والإيطالية نموذجا:

دامت عملية تشكيل الدولة القومية الحديثة قرناً طويلاً، فكانت عملية الانتقال من النظام الإقطاعي السائد آنذاك إلى نظام الدولة القومية عملية معقدة حافلة بالصراعات والحروب، وخلال هذا المقال سنتعرض إلى نماذج من بعض القوميات التي كان لها صدى كبير في أوروبا، وتهديد لمصالح الأسر الحاكمة مثل الثورة الإسبانية والإيطالية.

أ- ثورة اسبانيا (1820-1822م): قامت حركة رجعية في اسبانيا إثر اعتلاء **فردناند السابع** (1785م/ 1833م) العرش فألغى دستور 1812م، وأعيدت الملكية المستبدة إلى ما كانت عليه، كما أعيدت الامتيازات القديمة والأديرة² ومحاكم التفتيش، ووضعت الصحافة تحت رقابة شديدة، وحرمة حرية الكلام، وكثر قطاع الطرق، وهوت التجارة والزراعة إلى الحضيض، وأوشكت الدولة أن تفلس، وهناك من الأحرار من قتل ومنهم من سجن، وسارت الأحوال من السيئ إلى الأسوأ. وفي عام 1820م رفضت القوات الإسبانية الموجودة في **قادس** التحرك في حملة لإعادة إخضاع المستعمرات الأمريكية، وانتشر التمرد سريعاً ليتطور إلى ثورة عسكرية في كل البلاد، لأن الجيش كان ناقماً على الوضع بسبب تأخر دفع الرواتب وسوء حالة جنوده المالية، وأيضاً بسبب كثرة القتلى في الحروب الخارجية، ورفع الجند المرباط في **قادس** علم العصيان في جانفي 1820م رافضين الذهاب إلى أمريكا، فانتشرت الثورة انتشار الحريق وحاصر الثوار قصر الملك في مدريد فأجبروه على أن يقسم يميناً بإعادة دستور 1812م³.

وقد أثارت الثورة الأسبانية اختلاف الدول الكبرى المتحالفة حيث أظهر القيصر الروسي استعداداه لاستعمال العنف ضد الثورة في إسبانيا، فاقترح أن يعقد مؤتمر في باريس لمناقشة الحالة، وأعلن استعداداه لإرسال الدول المتحالفة جيش باسم أوروبا لقمع هذه الثورة، لكن **كاسلري** و**مترنيخ** عارضوا بشدة اقتراح قيصر روسيا واعتبرا أن موافقة الدول على هذا الاقتراح بشأن مرور الجيش الروسي بأراضيهم لقمع الثورة في إسبانيا فيه تعريض أمن بلادهم للخطر⁴. والملاحظ من الموقف الروسي ليس الرغبة في قمع الثورات بل المحاولة للوصول إلى المياه الدافئة من خلال استغلال كل فرصة تسمح لها بذلك.

ب- ثورة إيطاليا⁵ 1820م:

بعد سقوط الامبراطورية البونابرتية، وانسحاب فرنسا من الإمارات الإيطالية وجدت شعوب هذه الإمارات نفسها في حالة سيئة أكثر مما كانت عليه أيام نابليون، حيث استعمرت النمسا البندقية وأبدى أمراء بارما ومودينا وتوسكانا عداءً شديداً وبغضاً لكل إصلاحات نابليون، فأعادوا مساوئ العهد القديم رغم نفرة الشعب منها، أما الإمارات الصغيرة فكانت تحت تسلط النمساويين. وقد أدى هذا الوضع إلى تألم الشعب واستياءه، الأمر الذي دفع بالناس إلى تشكيل جمعيات سرية وصارت ترسم الخطط في الظلام للحصول على حرية إيطاليا واستقلالها، وكانت **جمعية الكاربوناري "carbonari" حارق الفحم** أشهر هذه الجمعيات والتي كانت تنادي بالحرية الشخصية والحكومة الدستورية والاستقلال القومي لإيطاليا الموحدة، ومن أهم الشخصيات الإيطالية التي كان لها دور فعال في هذه الثورة **ماتزيني Mazzini**⁶، ولما وصل خبر حصول الإسبان على دستور يبين حقوق المواطنين إلى نابولي ثاروا هم كذلك على ملكهم وطلبوا منه دستور مثل دستور الأسبان، إلا أن الملك أقسم على ذلك حتى يحصل على وقت يتمكن خلاله من الحصول على دعم أجنبي يساعده على إخماد الثورة والرجوع إلى الحكم القديم⁷.

ولم يمض وقت على اندلاع الثورة في نابولي حتى تدخل **مترنيخ** ودعي روسيا وبروسيا وانجلترا إلى الاتحاد للقضاء على **الثورة الرجعية** وأعلن أن حركة الأحرار إن لم تسحق ستصبح أشد هولاً على أوروبا من نابليون، وأن الثورة طاعون معدٍ يجب القضاء عليه فوراً، والتدخل عسكرياً للقضاء عليها⁸، وقد ساعدت هذه الثورة النمسا أن تنفرد بتقرير سياسة الدول المتحالفة والعمل على توجيهها؛ لكن لماذا لم تتدخل النمسا أثناء اندلاع الثورة في إسبانيا وعارضت قيصر روسيا عندما أظهر استعداداه على التدخل العسكري لإخماد الثورة؟ والعكس في إيطاليا؟

يرجع تغير موقف النمسا أن الثورة في إسبانيا كانت مسألة غير ملحة مثل مسألة نابولي والإمارات الإيطالية بصفة عامة⁹ ولأن ثورة نابولي كانت تهدد المصالح النمساوية بطريقة غير مباشرة¹⁰، وقد كان حق النمسا للتدخل في ثورة نابولي يستند على أساس واضح من حق أي دولة أخرى أن تتدخل في إسبانيا، وقد وافقت بريطانيا على مبدأ أحقية النمسا في التدخل بمقتضى المعاهدة المبرمة بين النمسا ونابولي. أما روسيا فقد رفضت تسوية المسألة الإيطالية قبل المسألة الإسبانية، وأعلنت على لسان ممثلها في النمسا بعد أن طلب امبراطور النمسا مقابلة القيصر للنظر في هذه المسألة أن القيصر لن يرض إلا بمؤتمر يضم الدول المتحالفة، وقد أيدت فرنسا رأي القيصر لأنها كانت لها نوايا خفية¹¹ والمتمثل في استرجاع مكانتها السياسية في أوروبا من خلال اشتراكها في هذا المؤتمر الذي ألح عليه قيصر روسيا، أما انجلترا فقد رفضت المساهمة في هذا المشروع الذي دعت إليه النمسا لأنها كانت ترى أن الصورة التي يريد **مترنيخ** إنشاء تحالفه عدائية ضد نابولي وإرغام انجلترا على الاشتراك في الحرب التي سوف تكون نتيجتها أيضاً عدائية، وعندئذ لم يجد **مترنيخ** مناصاً من قبول فكرة روسيا التي أيدتها فرنسا لدعوة مؤتمر لانغداد¹².

2- استمرار الثورات القومية في أوروبا:

أثارت مقررات مؤتمر فيينا ردود فعل قوية من طرف الشعوب الأوروبية، حيث اندلعت عدة ثورات مستلهمة مبادئ وشعارات وأفكار الثورة الفرنسية هدفها إسقاط مقررات هذا المؤتمر، وقد شمل المد الثوري دولاً مختلفة، وهي الآتي:

أ- الثورة بفرنسا 1830م:

قضى مؤتمر فيينا بعودة الملكية إلى فرنسا وارتقى عرش باريس **لويس الثامن عشر** متعاوناً مع أعداء فرنسا في الخارج، فأخذ يعود ببلاده تدريجياً إلى الحكم المستبد، كما أنه ترك أعوانه يضطهدون أنصار نابوليون ويلاحقونهم، وسنح للكنيسة بأن تسترد بعض نفوذها الذي فقدته أيام الثورة، وقد أساءت هذه السياسة إلى الوطنيين الفرنسيين، ورغم أنه عمل كثيراً في أيام حكمه لجعل فرنسا تستعد مكانتها كدولة كبرى في أوروبا إلا أن عدد الأحرار ونوابهم في البرلمان كان في تزايد مستمر، ولما توفي سنة 1824م، كانت الرجعية قد تركزت في كثير من مراكز القوة في الجيش والإدارة بحيث صارت لها يد قوية في تقرير شؤون البلاد، وخلفه على العرش شقيقه **شارل العاشر** فأطلق العنان للسياسة الرجعية وأعاد للكنيسة نفوذها القديم، وأعطى كل من هاجر من الأشراف تعويضات كبيرة عن أملاكهم التي فقدوها.

إن هذه السياسة التي تبناها الملك أثارت نقمة الأحرار واشتمزاز الملكيين الدستوريين، وفي سنة 1829م عين **بولينيك** سفير فرنسا في لندن والمعروف بعدائه الشديد للنظم المتحررة رئيساً للوزراء، وقد حكم البلاد سبعة أشهر دون أن يجمع البرلمان، وفي الجلسة الأولى التي اجتمع فيها سنة 1830م طالب المجلس بمشاركة الحكومة في السلطة، فغضب الملك وأمر بحل البرلمان، إلا أن الانتخابات التي أعطت بعد ذلك الأحرار نصراً، وزاد عدد نوابهم خمسين نائباً، فكان رد فعل الملك على ذلك بإصدار أربعة مراسيم قضت بحل المجلس الجديد، وتقييد حرية الصحافة، وتعديل قانون الانتخابات بحيث أصبح أكثر النازحين من فئة ملاكي الأرض¹³.

في 27 جويلية تم التفاهم بين الجمهوريين والجمعيات العمالية على ضرورة اللجوء إلى العصيان المسلح، وفعلاً نزل العمال والطلاب إلى الشوارع وأقاموا المتاريس¹⁴، كما أغلقت المصانع أبوابها وجرى توزيع الأسلحة على الناس من قبل الصناعيين، وفي 28 جويلية احتل الثوار قصر الملك، وسيطروا على باريس كلها، وقد حاول الملك استرضاء الجماهير بإلغاء مراسيمه الأربعة، إلا أن رجال الثورة أصروا على خلعهم فهرب **شارل العاشر** إلى الخارج، ودعي **لويس فيليب**¹⁵ من قبل البرلمان ليكون ملكاً على فرنسا، فعمل هذا الأخير على استرضاء الجماهير من خلال تعديل الدستور جاعلاً من الحكومة مسؤولة أمام البرلمان، كما ألغى الوراثة في مجلس الأعيان، وعدل قانون الانتخاب لمصلحة الطبقة المتوسطة صاحبة الفضل في حمله إلى العرش¹⁶.

لكن رغم هذه التغيرات في فرنسا إلا أن الدول الأوروبية الرجعية لم تتدخل بسبب سرعة الأحداث، إذ تم القضاء على النظام القديم خلال ثلاثة أيام فقط، وقيام مكانه نظام ملكي تقليدي، وزيادة على ذلك أن إنجلترا كانت تعارض أي تدخل من جانب النمسا وروسيا في الشؤون الفرنسية لكي لا يفسح لها المجال لتحقيق مكاسب إقليمية على حساب فرنسا أو أي منطقة أخرى من أوروبا.

ب- الثورة البلجيكية 1830:

كانت معاهدة فينا 1815م قد أنشأت مملكة الأراضي المنخفضة كحاجز ضد فرنسا تحت حكم أسرة **أورانج**، وعين **وليم الأول**¹⁷ ملكاً عليها¹⁸، إلا أن قرار المؤتمر لم يكن حكيماً لأنه تجاهل الفروقات اللغوية والدينية التي تفصل بين الشعوب، وكان الملك الجديد متحيزاً للهولنديين مستبداً في إدارة شؤون الحكم مما جعل البلجيكيين ينفرون منه ويكرهون الهولنديين خاصة عندما حاول أن يفرض اللغة الهولندية في مدارسهم.

وفي سنة 1830م اتفق الحزب الكاثوليكي وحزب الأحرار على الثورة، فأعلنها في بروكسل في أوت من نفس السنة، وبسرعة كبيرة عمت جميع أنحاء البلاد، وعندما تدخل وليم مرسلًا جيشاً لإعادة احتلال العاصمة أبدى الأهالي مقاومة شديدة أجبرته على الانسحاب بعد أربعة أيام، وانتصار البلجيكيين هذا شجعهم على المضي في تمردهم فشكّلوا حكومة مؤقتة دعت لانتخاب مجلس نواب، وإعلان استقلال البلاد، إلا أن وليم لم يقبل بالأمر الواقع بل أخذ يطالب دول التحالف الرباعي أن تساعد ضد الثورة، غير أنها كانت منشغلة بمشاكلها هي الأخرى؛ فروسيا كانت منشغلة بالثورة البولندية، والنمسا تراقب الثورات في إيطاليا، وانكلترا مهتمة بمشاكلها الداخلية، وفرنسا تعارض أي تدخل في بلجيكا، فبقي نداؤه دون استجابة، والواقع أن فرنسا كانت راضية عن الثورة البلجيكية لأنها رأت فيها بداية تفكك قرارات مؤتمر فيينا، ورغم أن بعض الوطنيين الفرنسيين رأوا ضرورة ضم بلجيكا لفرنسا لما بين البلدين من رابطة دينية ولغوية وحدود مشتركة فإن الحكومة وقفت موقف معتدل وأعلنت عزوفها عن التدخل وذلك لتفاديا لإثارة المشاكل مع إنجلترا، وأمام عدم تدخل الدول الكبرى في شؤون بلجيكا فقد انتصرت فيها الثورة ودعمت قواعدها¹⁹.

وفي سنة 1830م اجتمع في لندن مؤتمر للدول الكبرى الخمس فرض الهدنة، وألغى اتحاد بلجيكا وهولندا، وعين الأمير ليوبولد²⁰ ملكاً على عرش بلجيكا، كما أعلنت الدول الكبرى اتفاقها على حياد بلجيكا، وقد ظل هذا الحياد قائماً حتى سنة 1814م حين خرقتة الجيوش الألمانية، أما وليم فكان غير موافق على استقلال بلجيكا فقام بإرسال جيشاً لاحتلالها، إلا أن الجيوش الفرنسية تولت مهمة طرد الهولنديين وتثبيت دعائم العرش البلجيكي خاصة وأن ليوبولد كان قد تزوج من ابنة لويس فليب ملك فرنسا²¹.

ج- الثورة البولندية 1830:

إن الثورات في أوروبا الغربية كان هدفها الإصلاح الدستوري، والعمل على ضمان الحريات العامة، أما في بولندا فالغاية كانت قومية تحررية، ذلك أن مؤتمر فيينا قد قضى بجعل بولندا دولة مستقلة يحكمها القيصر روسيا، والواقع أن قضية الاستقلال كانت شكلية لأن البلاد كانت تحت الحكم الروسي المباشر. وأن قيام الثورة الفرنسية سنة 1830م دفع الحركات الوطنية البولندية للتحرك، حيث أعلن في هذه السنة بعض الضباط الوطنيين البولنديين في الجيش الروسي الثورة في فرسوفيا، ومنها امتدت بسرعة كبيرة إلى المدن والأرياف، ثم قامت في البلاد حكومة بولندية مؤقتة طلبت من الدول الغربية مساعدتها ضد القيصر، إلا أن فرنسا وانكلترا كانت تهتمان آنذاك بالمشكلة البلجيكية، والنمسا وبروسيا كانتا تريدان انتصار القيصر الروسي لكي لا يثير نجاح الثورة في فرسوفيا مشاكل في الأراضي البولندية التي تسيطر عليها الدولتان، وبذلك ترك البولنديين وجهاً لوجه أمام عدوهم القيصر الروسي، فتجاوزت الجيوش الروسية حدود بولندا في فيفري 1831م وقد دامت الحرب سبعة أشهر أبدى خلالها الثوار البولنديين شجاعة نادرة إلا أنهم هزموا في النهاية أمام جيوش القيصر، ويعود السبب في انهزامهم إلى ضعف الجيش البولندي، وقلة عتاده بقدر ما نتجت عن خلافات زعماء الثورة مع بعضهم البعض، ثم أن بعض الزعماء الأرستقراطيين تعاونوا مع القيصر بسبب كرههم للعمال، والبرجوازيين الذين كانوا شديدي الحماس للثورة والاستقلال²²، ولم تلبث فترة من الزمن حتى ظهرت موجة الثورات القومية والوطنية والدستورية في معظم القارة الأوروبية.

3 - أثر ثورات 1830م في أوروبا:

كانت ثورة جويلية 1830م في فرنسا ثورة ضد الرجعية، وما لبثت أن انتقلت إلى بقية العالم الأوروبي²³ الذي اجتاحتته موجة من اليقظة القومية التي ترافقت مع التقدم الاقتصادي والصناعي²⁴ الذي حقق نتائج مختلفة في أوروبا، ففي فرنسا وبريطانيا انتقل الحكم من يد الأرستقراطية إلى الطبقة الوسطى، وتأثرت بلجيكا بهما فسعت إلى الحصول

على استقلالها الكامل²⁵، وفي إسبانيا والبرتغال انتصر أصحاب الاتجاهات الدستورية، وسعت بريطانيا إلى تشكيل كتلة دستورية في غرب أوروبا تضم كل من فرنسا، وإيطاليا، وإسبانيا، والبرتغال لتحقيق التوازن مع الملكيات المحافظة الثلاث (روسيا وبروسيا والنمسا).

ولكن يبدو أن إسبانيا والبرتغال لم تكونا مهيتين تماماً، كما عاد التوتر إلى العلاقات البريطانية- الفرنسية بعد مرحلة من التحسن الملحوظ²⁶، واختلفت نتائج هذه الثورة في أوروبا الوسطى والشرقية، ففي سويسرا حدثت سنة 1830م سلسلة من المظاهرات التي أدت في النهاية إلى تنازلات دستورية كبيرة من قبل الزمر الحاكمة، إلا أن التغيير في سويسرا كان ليبرالياً أكثر منه ديمقراطياً، كالمطالبة بالمساواة وضمان حرية التعبير والصحافة²⁷، وفي بولندا كانت الدوافع الوطنية هي التي تقف وراء مطالب البولنديين لنيل الاستقلال عن السلطة الروسية، ووقفت بروسيا والنمسا مع روسيا ضد الثورة البولندية حتى أنهما أغلقتا حدودهما أمام تدفق اللاجئين، ومع ميل الرأي العام الفرنسي والبريطاني نحو الثوار البولنديين إلا أن حكومتي البلدين اكتفتا بالتضامن أحياناً والتهرب أحياناً أخرى²⁸، وفي إيطاليا لم تحدث ثورات عام 1830م إلا في إيطاليا الوسطى وكانت على شكل تمرد، وكان رد الفعل النمساوي قوي أو مباشراً في احتواء الأزمة وآثارها، أما فرنسا فقد ترددت في التدخل لصالح الثورة هناك²⁹ وكان مجال الثورة في ألمانيا محدوداً جداً حيث استطاعت كل من بروسيا والنمسا إعادة الأمور إلى نصابها³⁰، أما الحالة اليونانية فستناقش ضمن المسألة الشرقية والمتغيرات الإقليمية والدولية لبلاد الشام.

وتمخض عن هذه المتغيرات أن تفرقت الأسرة الأوروبية القائمة منذ مؤتمر فيينا 1815م، واختلفت في الاتجاهات بعد أن أظهرت أحداث عام 1830م التناقضات الأساسية بين مصالح الدول الأوروبية، فانسحبت بريطانيا من التحالف الرباعي لعام 1815م شيئاً فشيئاً³¹، لتعود الدول أنصار الشرعية بروسيا، والنمسا، وروسيا للتجمع من جديد في معاهدة مونخن غراتز München gratz عام 1833م مع بقاء فرنسا وبريطانيا في فضاء من الاتفاق الذي يشوبه الحذر والحسابات الدقيقة³².

ثانياً: الحركة القومية ضد السلطة الإسلامية (الثورة اليونانية 1821م انموذجاً):

أدرك رجال الدولة في الامبراطورية العثمانية بنهاية القرن الثامن عشر أن تغيرات كبرى قد طرأت على العالم عامة ومنطقة البحر الأبيض المتوسط خاصة أتاحت للدول الأوروبية أن تتفوق على الإمبراطورية العثمانية في النمو الاقتصادي والسياسي، وبدأ النظام الاقتصادي الرأسمالي في الظهور، خاصة بلدان البلقان وعلى الخصوص بلاد اليونان لأنها كانت أكثر ارتباطاً بالأسواق الأوروبية نتيجة العامل الجغرافي، كما اشتدت حركات التحرر لدى الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية، والتي ارتبط تطورها بالنظام الاجتماعي المتخلف عن الامبراطورية العثمانية، حيث لم تعد رغبة في الاكتفاء بوضعها كرعايا من الدرجة الثانية مثل اليونان³³.

سيطر الأتراك العثمانيون على اليونان في القرن الرابع عشر الميلادي، والتي كانت تابعة للإمبراطورية البيزنطية، ومنحوا اليونانيين النصارى حرية العبادة، والحكم الذاتي المحلي، غير أنهم قاموا بثورة ضد الحكم التركي، والتي كانت تمثل كل مظاهر الحركة القومية، فهي احتجاج تلقائي لشعب بقي أجنبياً عن الامبراطورية العثمانية؛ فماهي العوامل التي دفعتهم إلى القيام بذلك ؟

1- عوامل قيام الثورة في اليونان 1823م:

أ- حرية المعتقدات داخل الدولة العثمانية:

كانت الدولة العثمانية كلما فتحت قطراً من الأقطار لا تتعرض لحرية الأديان فيه، كما هو شأن الدول الإسلامية، وذلك راجع إلى عدة ظروف لم تساعد الدولة على نشر الإسلام بالدعوة وتأليف قلوب المسيحيين على أهله،

لهذا كان بقاء الشعوب المسيحية خاصة الأوروبية منها على دينهم في المملكة العثمانية من أعظم أسباب الضعف الذي دبّ قلب الدولة العثمانية، ولو أنها عملت على نشر لغتها الرسمية والدين الإسلامي حينها في الولايات الأوروبية من خلال تسهيل طرق الهجرة أو بطرق أخرى لما انفصلت عنها معظم الولايات البلقانية³⁴، حيث كان أهلها سبب مشاكل الدولة العثمانية، ولا يخفى أن الشعوب تربطها ثلاث مقومات وهي الدين، واللغة، والجنس، فإذا تمسكت الأمة بمقوماتها الثلاث أصبحت قوية يصعب تحطيمها، لكن الدولة العثمانية لم تخرج عن حدود الشرع الإسلامي القاضي بقبول الجزية من المسيحيين وأصحاب الملل الأخرى³⁵، وتركهم على دينهم مع حماية أموالهم، وأعراضهم، وأن يكون لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، لهذا لم يبق لأولئك الأقوام مع الدولة العلية جامع ديني ولا جنسية تربطهم بحكمها رابطاً قوياً، ونتج عن ذلك انفصال عدة ولايات شيئاً فشيئاً مثل رومانيا والجبل الأسود والبوسنة والهرسك واليونان³⁶.

ظل اليونانيون محافظون على لغتهم، وعملوا على فتح المدارس لتربية أولادهم على مبدأ التخلص من الحكم التركي عن طريق غرس البغضاء والكراهة الشديدة للأتراك في قلوبهم، فنشأوا على ذلك، وبدأوا يستعدون للثورة ضد الأتراك.

ب- الوضعية اليونانية قبل اندلاع الثورة 1821:

كان اليونانيون يحتلون في الدولة العثمانية موقعاً متميزاً منذ زمن، وكانت غالبيتهم تستوطن منطقة المورة³⁷ وجزر بحر إيجه وتساليا، إلا أنهم كانوا بوجه عام منتشرين في كافة أنحاء الامبراطورية، وكان القسم الذي يعمل منهم بالتجارة والنقل البحري والصرافة وما يشبه ذلك قد أثري ثراءً عظيماً، واتصل بالغرب في علاقات دائمة، وكانت العائلات الأصلية القاطنة في حي فنار الذي يظم البطريق خانة في استنبول قد نجحت في تولي بعض المناصب المهمة في الدولة، وهؤلاء كانوا مطلعين على دقائق السياسة الخارجية، وكافة أسرار الدولة فقد كانت وظيفة الترجمة في الديوان الهمايوني من الوظائف التي احتكروها سنوات طويلة 1669م - 1821م كما كان يجري تعيين الأمراء على الإمارات ذات الحكم الذاتي مثل الأفلاق والبغدان منهم، وقد دفع هذا الفناريين إلى إقامة القربات عن طريق المصاهرة مع النبلاء المحليين، ونقل ثرواتهم الضخمة بعيداً عن العاصمة وعن الأعين إلى تلك الإمارات، ويصبحون بذلك أصحاب أملاك عريضة هناك ويحولون الاستفادة بوجه خاص من سيادة الكنيسة الأرثوذكسية في تلك الأماكن، وقام اليونانيون على العموم بتجريد الشعب واستنفاد ثرواته³⁸.

أما حالتهم التجارية فقد بلغت شوطاً بعيداً، إذ كانت مراكبهم وسيلة الاتصال بين الدولة العثمانية والدول الأخرى، ولا شك أن معاهدة كينارجي التي فتحت موانئ البحر الأسود للتجارة الروسية ساعدت اليونانيين على بناء المراكب الضخمة وتسليحها في ظل الراية الروسية لا سيما أنهم اتخذوا ثغر أوديسا قاعدة لهم ومركزاً لتجاريتهم، ولم تكن حالة اليونانيين الأدبية أقل تقدماً من حالتهم المادية والسياسية فقد رأى أحدهم وهو المصلح الكبير كوريس *corais* (1774م - 1833م) أنه لا يكمل الشعور القومي إلا بلغة يمتاز الشعب بها، ولما كانت لغة اليونانيين خليطاً من اللغات المجاورة، فقد أخذ يطرد الغريب عنها ويعوضه باليوناني العريق، هذا إلى أنه أحيا الآداب الإغريقية القديمة، فأيقظ في مواطنه ذكر تاريخهم القديم، غير أن اليونانيين لم يكونوا في الحقيقة نسلًا مباشراً للقدماء من الإغريق³⁹.

وكان الفلاحون منهم يتمتعون بنعمة يحسددهم عليها الكثير من أقرانهم في روسيا والنمسا بل في إنجلترا نفسها، فقد كانوا يتمتعون بخيرات أراضيهم ويحتفظون بملكيتهم، وإذا كان قد وقع عليهم بعض الحيف في جباية الضرائب فقد كان المسلمون يشاركونهم في ذلك، أضف إلى هذا أن المسلمين كانوا يجندون وحدهم دون المسيحيين، فكان الفلاحون في قراهم يتمتعون بشبه استقلال داخلي فيُعِينون الموظفين والقسيسين من بينهم، وكذلك كانت الجزائر

الإغريقية تتمتع بمثل هذا الاستقلال، فلم يكن يربطها بالسلطة العليا إلا دفع جزية صغيرة وتقديم عدد معين من البحارة للأسطول⁴⁰.

سَلِمَ العثمانيون أمر حراسة الطرق لبوليس أهلي من اليونانيين لمكافحة العصابات التي كانت منتشرة على طول الطرق التي تعترض التجار، وبهذا خلقت النواة التي نشأت منها جيوش الثورة، كما أن الترخيص للمراكب اليونانية بالتسليح لمقاتلة القراصنة في البحار أوجد أداة الكفاح الفاصلة في الحرب العثمانية اليونانية فيما بعد، ويتضح من هذا أن اليونانيين لم يكونوا مستبشرين بل كان لهم في الدولة مركز ممتاز من حيث الثروة والسلطة.

وأما الأسباب التي دعتهم إلى الخروج عن العثمانيين فلم تكن لعسر أو لشدة نزلت بهم، وإنما أيقض اليأس والرخاء للذات نعموا بهما أحلام واسعة، ولم أعلنت الثورة الفرنسية مبادئ اتحاد القومي، وحرية الأهالي تحرك قلب الشعب اليوناني من جديد كما حركته عوامل النهضة الأدبية⁴¹، لكنهم أيقنوا بأنهم لا يقدرّون على طلب الاستقلال، إلا إذا كان أبناءهم متعلمون، فعمد أغنياءهم إلى إرسال أولادهم إلى مدارس الدول الأوروبية ليتحلوا بالعلوم والمعارف، وليكونوا رؤساء الأمة ودعاة حريتها في المستقبل، ثم ألفوا عدّة جمعيات لنشر العلم بها بين أفراد الأمة وبث الروح الوطنية، وشكلوا جمعيات سرية، وجعلوا مراكزها في روسيا والنمسا⁴²، وكل هذه الأمور ساعدت على زرع دعوة (الهيلينية) وتطور مراكز القومية اليونانية، وظهور فكرة احياء البيزنطية من جديد، وهو الأمر الذي مهد السبيل في النهاية إلى ظهور أولى حركات الثورة والعصيان التي انفجرت عام 1821م في تلك الإمارات⁴³.

ج - العامل التاريخي:

أخذ الإعجاب بالحضارة الهيلينية ينتشر شيئاً فشيئاً في كل أنحاء أوروبا مع ظهور حركة النهضة، والحركة الإنسانية التي تركز فيها الاهتمام على كل ما هو قديم، فكان مثقفو الأرستقراطية والبرجوازية في أوروبا الذين تعلموا على امتداد كافة المراحل التعليمية اللغة الإغريقية، والأدب، والفلسفة، والميثولوجيا⁴⁴، وتحولوا كنتيجة لإعجابهم بالهيلينية إلى مدافعين عن الدعوى اليونانية، ولا شك أن السبب الرئيسي وراء الترحيب العام الذي لقيته الثورة اليونانية في كل أوروبا، وإثارتها لمشاعر فياضة في النفوس هو ادعاء الرعايا اليونانيين الذين يتقاسمون البقعة الجغرافية لتلك الحضارة القديمة بأنهم أصحاب ذلك التراث الثقافي، ونجد أن الأشخاص الذين جاءوا إلى المورة من الأوروبيين المعجبين بالهيلينية، وحاربوا كمتطوعين إلى جانب اليونانيين ضد الأتراك كانوا يحملون ذلك الشعور بالإعجاب تجاه الحضارة اليونانية القديمة التي استقرت في نفس كل واحد منهم منذ الصغر، وامتزجت بثقافته التي نشأ عليها⁴⁵.

د - أفكار الثورة الفرنسية 1789:

هزت الثورة الفرنسية القومية اليونانية، وهي لا تزال تجهل نفسها، وفي الحقيقة إن تدريب هذه الأمة على الشعور بنفسها أتى من الخارج، وأول جهد بذل لفهم الدولة الإغريقية وتحقيق هذه الأمة كان من الخارج أيضاً، ولذا تمتاز الحركة اليونانية بالجمع بين الدفع الخارجي، والضغط الداخلي، فكانت الثورة الفرنسية فرصة لأول حركة قومية في اليونان حيث انتشرت أفكارها بشكل يصعب تحديده، وإمساكه، لأن انتشارها كان بمثابة عدوى، فكانت أفكار الثورة الفرنسية تصل إلى اليونانيين بواسطة ثلاث عوامل وهي كالآتي:

أولاً: عن طريق الامبراطورية النمساوية لأن مدنها الكبرى كانت تحتوي على الكثير من اليونانيين، حتى أن الجالية اليونانية في فيينا كانت بأعداد كبيرة وغنية، وتضم الكثير من التجار، ويضاف إلى ذلك أن الحكومة النمساوية اعترفت في نوفمبر 1787م بوجود الجالية اليونانية كوجود مشروع، ولم يقلق وجودها الامبراطور بعد أن أُلْفِي فيها وسيلة للتأثير والتدخل في شؤون الامبراطورية العثمانية. وفي الشهر أكتوبر 1796م اعترف رسمياً بوجود الكنيسة اليونانية في فيينا، وسمح في عام 1804م بافتتاح مدرسة إغريقية رسمية، وكان اليونانيون في فيينا يمدونها

بالمال من أجل تعليم اللغة والأدب اليوناني لأطفالهم، فغدت فيينا مركزاً للقاء عدد عظيم من المثقفين ورجال الفكر اليونانيين، كما وجد فيها مراكز يونانية للنشر، وكانت على اتصال بمفكري إمارتي الأفلاق والبغدان، وكان وضعهم القانوني كالنمساويين يتيح لهم سهولة إقامة علاقات وروابط عكس الامبراطورية العثمانية، ولذا كانوا بفضل الجوزات النمساوية التي يحملونها يستطيعون التجول في سائر أنحاء الامبراطورية النمساوية وحتى العثمانية بأمان واطمئنان.⁴⁶

وقد أصبحت فيينا أثناء الثورة الفرنسية نقطة توسع للأفكار الفرنسية فيها أسست أول جريدة يونانية، وأسس أيضاً الأخوان **يوليوس ماركيديس** وهما يونانيان من مدينة **ماكيدونيا** جريدة **إيفيميريس**، وقد ظهر أول عدد منها في 31 ديسمبر 1790م، وصدر برسم يمثل بعث اليونان الذي يظهر في أول مقال له يتوجه إلى صديقه القارئ بالعبارة التالية: "ها هي الجريد المنتظرة الموعودة منذ زمن طويل كتبت بلغة شعبية، تنمو كالنبات الصغيرة شيئاً فشيئاً، وأخيراً نحمل ثمارها المفيدة"، وكانت الإيفيميريس تصدر مرتين في الأسبوع بأربع أو ثماني صحائف من الحجم الكبير، ثم بالصحائف المتوسطة من 16 إلى 20 صحيفة، وفي عام 1793م سميت بـ "مجموعة أهم الحوادث المعاصرة وأصدقها في العالم أجمع، تلقفت بدون ملل على منوال النحلة" وتقول أنها "لا تقبل بأن تكون أمتنا المجيدة وحدها الأمة التي أضاءت العالم بعقلها وعلومها مجردة من الصحافة".⁴⁷

ومن الطبيعي أن تصطدم الجريدة ببعض الصعوبات كالرقابة النمساوية، والسلطات التركية، ولذا اضطرت الإيفيميريس أن تهذب أعدادها التي تمر بالامبراطورية العثمانية ولا تتعرض لأي خبر يخص الامبراطورية العثمانية، ومن جهة أخرى كان محرروها باعتبارهم مراقبين من قبل الرقابة النمساوية مضطرين للامتناع عن كل تصريح يتناول الحرية، ولذلك كانوا يقومون بدعايتهم بشكل دراسات تاريخية تذكر دائماً بالحوادث الهامة في التاريخ الإغريقي ويمجد الجدد ويُعلمون قراءهم بالحوادث الثورة الفرنسية مكتفين بتسجيلها، فهم يعرضون الحوادث العظلى للثورة كالإعدام في عهد الإرهاب ومغامرات الجنود الفرنسيين، ويلقون قراءهم درساً في الجمهورية، وذلك بنشر وتحليل مناقشات المجالس الفرنسية في حقوق الإنسان، وتحليل القرارات أو الدساتير الفرنسية، وهكذا وجدت رابطاً أو صلة بين اليوناني في النمسا واليوناني في الخارج، فقد كانت هذه الجريدة وسيلة تربية ونضال بشكل حذر على قدر الإمكان ودعاية ناجعة، وقد نهت تقارير السلطات الضابطة إلى هذه الدعاية وأظهرت الروح الثورية وأفكار الفرنسية التي كانت تنتشر بواسطة هذه الجريدة.⁴⁸

ثانياً: وقد كانت أيضاً الأفكار الفرنسية تصل إلى اليونانيين مباشرة عن طريق أصحاب السفن والملاحين اليونانيين الذين كانوا يمتنون الموانئ الفرنسية، أو الموانئ المحتلة من قبل فرنسا، عندما تحاصرهم الأساطيل الانجليزية والنمساوية وبعدها الروسية، حتى أن بعض هؤلاء الملاحين اشتركوا فيما بعد في الحركة الثورية اليونانية مثل **مياؤليس**. فقد كان هؤلاء الملاحون يترددون على الموانئ الفرنسية ويتلقون أفكار الحرية، وعندما يعودون إلى بلادهم يحدثون بما رأوا وشاهدوا وسمعوا، فكانوا بذلك دعاة للثورة، وكما قال أحد اليونانيين: "إنهم يبيعون الحنطة"⁴⁹ **والحلو يأخذون بالمقابل مفاهيم الحرية ومبادئها**، ونجحت دعايتهم في اليونان لا سيما أنها كانت مطابقة للنهضة الفكرية، والجهد العام لإحداث المدارس آنذاك، وكان بعض هؤلاء الملاحين والتجار عملاء سياسياً ومخبرين، ودعاة إلى جانب فرنسا عام 1792م.⁵⁰

ثالثاً: انتقلت أفكار الثورة الفرنسية كذلك بواسطة **المحافل الماسونية**⁵¹، فقد تأسست المحافل الماسونية اليونانية في **أوديسا**⁵² و**بوخارست**⁵³ وباريس وبعض مدن ألمانيا، وانتسب أكثر اليونانيين المقيمين إلى هذه المحافل، وكانت موجودة أيضاً في الأراضي العثمانية في إقليم **تساليا**، حيث سمحت لليونانيين بلم القوميين والدعاية لاسيما أن سر الماسونية صالح لهذه الدعاية، والملاحظ أن من يشارك في جمعية 1821م كانوا ماسونيين، وما يدل على قوة

الدعاية قلق بطيركية القسطنطينية، فقد كانت البطيركية موالية للنفوذ الروسي، ولأن حكومة هذه الأخيرة أرثوذكسية، ولها علاقة مع الفناريين الأغنياء، فانتابها القلق من نمو الأفكار الفرنسية التي تنشرها المحافل الماسونية، والأفكار الديمقراطية التي تشكل خطر على هؤلاء الملاكين الأغنياء والتجار والأرستقراطيين الفناريين⁵⁴.

وعلى هذا النحو تأثرت بعض المناطق اليونانية بالأفكار الثورة الفرنسية، وتأسست فيها مراكز تعمل على نشرها، ويظهر هذا التأثير من خلال الغليان الشديد التي شاهدها اليونان في عامي 1796م و 1797م، وكان شعبها لا ينتظر سوى الإشارة ليقوم بالثورة، ويطالب بالاستقلال.

هـ- القساوسة اليونانيين وإعدام جريجوريوس:

بعد حصول روسيا بموجب معاهدة **كينارجي** على حق حمايتها للمواطنين الأرثوذكسية من رعايا الدولة العثمانية أصبح اليونانيين يحلمون بإقامة دولة مستقلة، فشككت جمعية **هاريتاريا**⁵⁵ السرية في أوديسا عام 1814م لتحقيق هذا الهدف، أما بطيركية "فنز" التي أحياها السلطان محمد الفاتح وأعطها الحرية وكل حقوقها، فقد كان بطيريقها وأشرف فينز من الروم يساعدون هذه الجمعية⁵⁶، ومن أهم أعمال هذه الأخيرة ما يلي⁵⁷:

- إنشاء جمعيات سرية في كل أنحاء الدولة العثمانية، والقيام بتسجيل أغنياء الروم، وأكثرهم نفوذاً في هذه الجمعية من أجل ضمان المساعدات المادية والمعنوية.
- تأسيس شركات تجارية لتأمين مصدر مالي للجمعية السرية.
- استفادة من الشباب اليوناني الذين يدرسون في أوروبا.
- العمل على تأمين مساعدة من الدول الكبرى.

وامتدت شبكات الجمعية السرية إلى بلاد مورة وخارجها، وعملت المكائد على التخلص من العوائق الداخلية، وأعلنت تمرداً عام 1821م، فأصبح الكثير من القساوسة ورجال الدين أعضاء أصليين في هذه الجمعية التي أسست من أجل مناهضة العثمانيين، فقام هؤلاء باستخدام نفوذهم على الشعب وتحريضهم على الثورة⁵⁸، وكان **جريجوريوس** بطريق باتراس الذي أشعل فتيل الثورة اليونانية مرتبطاً بهذه البطيركية⁵⁹.

فوجئت الدولة العثمانية عندما قام الثوار اليونانيون بالسيطرة على جميع أنحاء مورا في نوفمبر 1812م لأنها كانت قد أعطت لبطريق فنز باعتباره رئيس البطيركية العالمية جميع الامتيازات كما قامت بحماية الأرثوذكس من جور وظلم الكاثوليك وتعسفهم بل حتى محاولة إفنائهم، وقد ثبت وجود علاقات سرية وقوية بين البطرق **جريجوريوس** الذي جيء به بطريقاً للمرة الثالثة وبين هذه الجمعية السرية، وكذلك بينه وبين المسؤولين الروس، ودليل ذلك رسالته التي بعثها إلى ألكسندر قيصر روسيا والتي جاء فيها: "ليس من الممكن تحطيم الأتراك من الناحية المادية، لأن الأتراك قوم صبورون، ولديهم قابلية مقاومة كبيرة ومغرورون ولهم عزة وكرامة نفس، وهذه الصفات تنبع من تعلقهم بدينهم ورضائهم بالقدر ومن القوة تقاليدهم ومن شعور الطاعة لرؤسائهم، لذا يجب أولاً تحطيم وإزالة شعور الطاعة هذا، وقطع روابطهم المعنوية وإضعاف متانتهم الدينية، وفي اليوم الذي تهتز وتضعف معنوياتهم هذه عندئذ يمكن عزلهم عن قدراتهم الأصلية التي تقودهم نحو الانتصارات، كما يمكن آنذاك هزيمتهم بالقوى المادية، وإن الانتصارات على الدولة العثمانية في ساحات الحرب لا تكفي للقضاء على الدولة العثمانية، ما يجب فعله هو إنجاز هذا التخريب وإتمامه دون أن يحس به الأتراك"⁶⁰، وقد علق الجنرال **إغناطييف** السفير الروسي لدى الدولة العثمانية في عهد السلطان **عبد العزيز** على هذه الرسالة في قوله: "لقد شاهدت صدق تحليل هذه الرسالة، وصدق تشخيصها عندما كنت أمارس وظيفتي"⁶¹.

وحينما ثبتت خيانة **جريجوريوس** استدعي إلى الباب العالي من قبل الصدر الأعظم حيث تم استجوابه أولاً، واتهم بالخيانة العظمى في 23 أبريل 1821م⁶²، وعلقت لافتة الخيانة على رقبته، وشنق أمام الباب الوسط

للبطيركية، وبعد أن بقي معلّقاً على المشنقة ثلاثة أيام قام اليهود برمي جثته في البحر، لكن بعض المؤرخين يرون بأنه مع كون هذا البطريق يستحق أكثر من هذا العقاب، إلا أن شنقه في ذلك الوقت الحرج قد عاد بالسلب على الدولة العثمانية وأفاد روسيا، لأن جميع الأرثوذكس انحازوا ضد الدولة العثمانية بسبب حمايتهم الدينية، وهناك من يرى بأنه لو تمت الحيلولة دون إعدامه لما انتشرت الثورة اليونانية ذلك الانتشار الكبيرة، وقد وعد الروم بأنه مالم يتم شنق رجل دولة تركي فلن يفتح هذا الباب، ولا يزالون مستمرين على إبقاء هذا الباب مغلقاً، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت هذه البطيركية وكرّاً لوضع الخطط ضد الشعب التركي المسلم⁶³.

2- أحداث الثورة اليونانية: مرت الثورة اليونانية بثلاث مراحل أساسية وهي كالآتي:

المرحلة الأولى: انطلقت الشرارة الأولى للثورة في بلاد البغدان، وقد شجع قيصر روسيا على القيام بها من خلال مساندته، وكان غرض الثوار من ذلك تحرير اليونان من السيطرة العثمانية، لكم موقف روسيا سرعان ما تغير إذ أن توقيع الاسكندر لبرتوكول **تروباو** في نوفمبر 1820م مع مترنيخ حامل لواء المحافظة على الأسر المالكة القديمة ضد أي انتفاضة، كان يعني بها مناهضة كاملة لكل حركات التحرر في الدول المستعمرة، كمناهضة للحركة اليونانية بزعامة **ابسلانتي**، ومن ثم كان على القيصر ألا يتعامل مع الثوار، وإن أراد ذلك فيمكن سرّاً بعيداً عن أعين **مترنيخ** المدافع عن الحكومات الشرعية، وكان موقف روسيا المتغير من بين العوامل التي أعاققت الثوار، ثم ظهر سبب آخر ساعد على فشل الحركة الناشئة حيث قامت الثور في الولايات الدانوبية وبعيداً عن أرض المورة (اليونان)، وكان ملاك أراضيها من الفلاحين الولاشين وهم طبقة محكومة من قبل اليونانيين، فكان هؤلاء الفلاحون يكرهون اليونانيين أكثر من العثمانيين⁶⁴.

والسبب الثالث كان جنسياً إذ أن سكان الأفلاق والبغدان ذوو أصول الرومانية، وبالتالي هم يختلفون جنسياً عن اليونانيين سكان المورة، وكان هناك سبب آخر أدى إلى فشل المحاولة الأولى حيث كان على **ابسلانتي** التحرك بسرعة صوب بوخارست واحتلالها قبل أن يتقدم الزحف التركي لمقاومته ومطاردته، لكنه تلكاً وتباطأ، وأضاع الوقت في إحدى الولايات أثناء احتفالات ملكية فيها أضاعت من حوله الانتصار، ثم أنه شجع المجازر الدينية بين المسلمين والمسيحيين التي ضاع ضحيتها الألوف من المسلمين، مما أدى إلى انصراف الجماهير من حوله أيضاً، وبدلاً من أن يصدر القيصر الروسي أمراً بترك السلاح على الفور في تلك الفترة التي كان فيها مركزه ضعيفاً، رفض **ابسلانتي** الإذعان إلى مطلب القيصر الروسي لأنه كان يعتقد أن روسيا تؤيد السلام في أوروبا، ولا قبل لها بالحرب مع الدولة العثمانية، وفي الوقت نفسه انقضت القوات هذه الأخيرة على الثوار اليونانيين المنقسمين في معركة **وراجا شان** في 19 يونيو 1821م، وانهزم الثوار في الأفلاق وفر **ابلانستي** إلى حدود **ترنسلفانيا** إلى النمسا⁶⁵.

وبعد هزيمة الأفلاق استطاع الأتراك إخماد الثورة في البغدان بسهولة، خاصة وأن روسيا لم ترسل أية مساعدات للثوار، وتم عزل حاكم البغدان المناصر لـ **ابسلانتي**، وزحف الثوار إلى باس، وهناك زحفوا إلى **ستاليني** وعسكروا هناك وحاولوا الدفاع عن أنفسهم، ولكنهم منوا بالهزيمة الكاملة، وبذلك أخدمت الثورة في الشمال اليوناني، وقتلت فكرة إحياء الامبراطورية إلى الأبد، أما **ابسلانتي** فقد اعتقله **مترنيخ**، وألقاه في السجن لمدة سبع سنوات حتى لقي حتفه في عام 1827م في فيينا⁶⁶، لكن **مانتران** فيذكر كلام غير ذلك: "... وجرى قتله في 24 جانفي 1822م، الأمر الذي يضع حداً لمحاولة الانفصال..."⁶⁷.

المرحلة الثانية: استطاعت الجمعية السرية سابقة الذكر خلال مدة قصيرة أن تفتح العديد من الفروع في الأراضي العثمانية، ونجحت في استقطاب البطريق اليوناني، وأمراء الأفلاق، والبغدان، والعائلات اليونانية الثرية من سكان الفنار ليصبحوا أعضاء فيها، وبلغت الإستعدادات التي قام بها اليونانيون نقطة الانفجار عندما وقع فراغ في السلطة نتيجة لإعدام علي باشا مع أبنائه، وهو الذي كان يمسك بزمام الأمور في يانيه بوجه خاص، ولم يسمح

لليونانيين بالالتفات يميناً أو يساراً، وقد أشعل قيصر روسيا أولى شرارات الثورة في الأفلاق **ياور** في فيفري 1821م، وكان في الحسبان أن الدولة العثمانية طبقاً لمعاهدة **بوخارست** لا تستطيع أن تتدخل عسكرياً دون إذن روسيا في إخماد تلك الثورة المقررة إشعالها في الأفلاق والبغدان كما كان من المتوقع أن يشارك البلغار والصرب هم الآخرون في الثورة إلى جانب الرومان، وفي تلك الأثناء اشتعلت جبهة أخرى لثورة ثانية في المورة تزعمها **ألكسندر** يدعي **ديميتريون** في مارس 1821م⁶⁸، ولم تستطع الثورة في المملكتين - الأفلاق والبغدان - أن تنتشر بين طبقات الشعب لأن الشعب اليوناني لم يكن يرغب في إيقاع دمائه في سبيل الدعوة الإغريقية.

كما لم يكن هناك ما يدعو أبداً لتفضيل الحكم اليوناني على السيادة العثمانية هذا في الوقت الذي لم تتحقق فيه ثورة البلغار والصرب وانهزم **ألكسندر** هو وقواته بعد مدة قصيرة كما لم يصل العون المنتظر من القيصر **بايفار** ومن الأمير **مترنيخ** فقد كان هذا الأخير يؤكد على ضرورة تأييد ودعم الحكام الشرعيين في مثل تلك الثورات، فأمر بالقبض على **ألكسندر** وسجنه، أما الثورة التي اشتعلت في المورة فقد كانت تعتمد على قاعدة شعبية عريضة ولهذا انتشرت خلال فترة وجيزة ولم تلبث في نهاية أبريل 1821م أن عمت في وسط اليونان وجنوبها، وفي تلك الظروف تعرض الأهالي المسلمين الذين يعيشون منذ عدة قرون فوق تلك الأرض لمجازر وحشية واسعة واستهدفهم عمليات القتل الجماعي ونهب أموالهم وأراضيهم، وأثارت ثورة اليونان غضباً شديداً في استنبول، حيث فقد على إثرها أمراء الفئران اليونانيون كل ما كانوا يحظون به من تقدير وسلطة، إذ كانوا حتى ذلك الوقت يتمتعون باحترام كبير وعاشوا حياة الرخاء والرفاهية وشغلوا مناصب هامة في الدولة⁶⁹.

ونتيجة لتطور الأوضاع انعقد **مؤتمر بطرسبرج** 1823م كنتيجة للثورة اليونانية ضد الحكم العثماني من أجل الاستقلال، وقد نظر **مترنيخ** إلى هذه الثورة على أنها تهديد للحكم الملكي، بغض النظر عن على أن الملك القائم على هذا الحكم هو سلطان مسلم، وكان **مترنيخ** يرى أن يقوم بعمل من شأنه تأييد موقف السلطان العثماني كي يحول دون تدخل روسيا الأرثوذكسية ضد الدولة العثمانية المسلمة لصالح اليونان الأرثوذكسية، وعلى أية حال فإن انشغال الاوتوقراطيات الأوروبية الكبرى بالمسألتين الإيطالية والإسبانية قد حال دون مناقشة المسألة اليونانية خلال مؤتمر **ليباخ** وفيرونا⁷⁰.

وبحلول عام 1823م دعا قيصر روسيا القوى الكبرى إلى مؤتمر في **سان بطرسبرج**⁷¹ لمناقشة المسألة اليونانية وحسم النزاع على أساس تقسيم اليونان إلى ثلاث ولايات تمنح كل منها الحكم الذاتي تحت سيادة السلطان، ولكن النمسا رأت هذا التقسيم مجالاً لبسط نفوذ روسيا على الإمارات الجديدة، أما بريطانيا فقد خشيت أن يؤدي المؤتمر إلى تطبيق المبادئ التي وضعت في مؤتمر **تروباو**، ولما كانت تركيا واليونان قد أعلنتا أنهما لا تتقيدان بقرارات الدول⁷²، وتضاربت وجهات النظر فانفض المؤتمر من غير اتفاق بين الأعضاء في هذا الصدد.

وعلى إثر هذا تحطمت فكرة التظافر الأوروبي، فقد راح القيصر انطلاقاً من مصالح روسيا الذاتية يتفاهم مع كل من إنجلترا وفرنسا على أساس استقلال اليونان، في حين وقفت كل من النمسا وبروسيا موقفاً مناوئاً للموقف الروسي، وهكذا اتفق ثلاثة من الحلفاء القدامى على التدخل لحساب شعب متمرد على صاحب حق شرعي، وهم إذ ناصرهم فإنما أيدوا مبدأ حق تقرير المصير، خارجين بذلك عن مبدأ الحلف الأول، فقضي على مصير الحلف إلى الأبد⁷³.

ونستنتج من خلال ما سبق أن الدول الحالف لم تستطيع المثابرة على سياسة التحالف بعد أن تخلصت من الخطر المشترك، فراح كل دولة منها تسترد حريتها بالعمل في الميدان الدولي وفق ما تقتاضيه مصالحها حتى وإن تعارضت هذه المصالح مع مصالح غيرها من الدول الحليفة، فقام التضايف الأوروبي على أساس تدعيم مبدأ الحقوق الشرعية، ومقاومة مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، ثم ما لبث المتحالفون أن تفرقوا عندما زال الخطر المشترك،

الكل يسعى وراء مصالحه مؤيداً الحق الشرعي أو حق تقرير المصير حسبما تقتضيه مصلحته، وعلى هذا الأساس نستنتج أن العلاقات الدولية في الماضي أو الحاضر أو حتى في المستقبل لا يحكمها سوى قانون واحد وهو قانون المصلحة.

ولما رأى السلطان محمود الثاني ما ألم بالمسلمين وبجيوشه في هذه الحروب المستمرة، والمناوشات الغير منقطعة، وثبات اليونانيين أمام الجيوش العثمانية، واعتصامهم بالجبال، وعدم قدرة الجنود على اللحاق بهم في الجبال الوعرة، فأحال مهمة محاربتهم إلى **محمد علي باشا** والي مصر، نظراً لما أبداه هو وولده **إبراهيم باشا** في محاربة الوهابيين من جهة⁷⁴، ومن جهة أخرى كان يمتلك جيشاً وأسطولاً حديثين على الطراز الأوروبي⁷⁵، وقد استجاب محمد علي لهذا الطلب، وذلك بشرط الاعتراف به والياً على مدينة **الكريت**⁷⁶ والمورة⁷⁷، فأصدر علي باشا أوامره باستعداد سبعة ألف جندي كلهم مصريون من المشاة وعدد من الفرسان والمدفعية، وعين بكر أولاده **إبراهيم باشا**⁷⁸، وأرفقه بسليمان بك، فانطلقت هذه الإرسالية من ثغر الاسكندرية في 16 جويلية 1824م، فسارت السفن باسم الله مجراها إلى جزيرة رودس للاجتماع بالأسطول العثماني، ثم ترك إبراهيم باشا فيها سليمان بك مع حامية كافية لقمع الثائرين فيها، ولم يلبث إبراهيم باشا أن أمد مدينة **كورن** التي يحاصرونها اليونانيون بالرجال والذخائر في 23 مارس 1825م، ثم فتح مدينة **نافرين**⁷⁹ الشهيرة بعد حصار شديد، ودخلها منتصراً في 16 ماي 1825م، وبعد مدة قصيرة فتح مدينة **كلاماتا**⁸⁰، وفي 23 ماي احتل مدينة **تريبولتسا**⁸¹، ثم استدعاه رشيد باشا الذي كان محاصراً في مدينة **ميسولوني**⁸² لمساعدته على فتحها، وكانت قد أعيتته في ذلك الحيل لوقوعها على البحر ووصول المدد إليها تبعاً من جهة البر، فقام إبراهيم باشا ملبياً لدعوته⁸³،

فاستولى عليها، وجعلها أساساً لحركاته الحربية⁸⁴ في 13 أبريل 1826م⁸⁵، وفي 05 جوان فتح العثمانيون مدينة **أثينا**⁸⁶ وقلعتها الشهيرة أكروبول رغم الدفاع اليوناني المستميت بقيادة القائد البحري الإنجليزي **كوشران**⁸⁷، وتم تعيين إبراهيم باشا والياً على مدينة الكريت، لكن الثورة اليونانية لم تنته عند هذه النقطة، وهذا ما تؤكدته الرسالة التي بعثها علي خوجة زادة وكيل الجزائر في خانية بجزيرة كريت إلى حسين باشا في 30 جانفي 1827م⁸⁸.

المرحلة الثالثة: بينما يستعد إبراهيم باشا لفتح ما تبقى من بلاد اليونان في أيدي الثائرين، إذ تدخلت الدول الأوروبية بحجة حماية اليونانيين المسيحيين في الظاهر، ولفتح المسألة الشرقية وتقسيم أراضي الدولة العثمانية بينهم، ومن مظاهر هذا التدخل لوم روسيا أكثر من مرة مساعدتها الثائرين وحماية من يلتجئ منهم إلى بلادها، لكنها لم تصغي لهذا اللوم بل استمرت في مساعدة اليونانيين وهي احتلال **الأسطانة** وجعلها مركزاً للديانة الأرثوذكسية، مثل مدينة روما التي تعتبر كمركز للكاتوليكية، كما اهتم **نقولا الأول**⁸⁹ بمسألة اليونان بعد وفاة الاسكندر لأول متبع في ذلك خطة سلفه السياسية، وباتحاده مع انجلترا التي كان قصدها منع الحرب بين الدولتين اضطر الباب العالي إلى تصديق على معاهدة **آق كرمان Akkerman**⁹⁰ في 07 أكتوبر 1827م، جاءت هذه المعاهدة لتوضيح **معاهدة بوخارست** سنة 1812م، وبموجب هذه المعاهدة تم توسيع الاستقلال الداخلي لإمارات رومانيا وصربيا، كما تقرر عدم وجود أي مسلم محلي في قلاع صربيا ماعدا جنود الجيش التركي، ينتخب الباب العالي بكوات الأفلاق والبغدان من بين أشرف الرومان، ويعين الباب العالي هؤلاء الأمراء لمدة 07 سنوات، وليس له الحق تغييرهم مالم تكن هناك أسباب جدية⁹¹، أن يكون لروسيا حق الملاحاة في البحر الأسود، بدون أن يكون للدولة العثمانية حق في تفتيش سفنها⁹²، وقد تواعد السلطان العثماني من خلال هذه المعاهدة باختصار شديد على مايلي⁹³:

- بمنع قراصنة المغرب من تعطيل التجارة الملاحاة بأي حجة كانت، فإذا حصل منهم تعدي بدون علم الباب العالي فإنه يقوم بإعادة جميع المأخوذات التي استولى عليها أولئك القراصنة، وبدون تأخير، وأن يعرض الرعايا الروسين ما لحقهم من خسائر، وأن يحرر بهذا الصدد فرماناً صارماً إلى بلاد المغرب بحيث لا يتكرر ذلك مرة ثانية، وفي حالة لم

ينفذ مفعول هذا فرمان فيدفع مقدار التعويض من الخزينة المملوكية في مدة شهرين⁹⁴، وهو نفس الشرط الذي نصت عليه معاهدة باش حيث أصدر السلطان سليم الثالث إلى مصطفى باشا في 02 أكتوبر 1807م⁹⁵.

• وأن لا يتسبب في إحداث العراقيل في طريق ملاحاة السفن التجارية الحاملة للعلم الروسي في كل بحار ومياه المملكة العثمانية وبدون استثناء، مع احترام ركاب هذه السفن.

وبعد توقيع الدولة العثمانية على هذه المعاهدة بشروط مجحفة، والتي لا يمكن قبولها إلا بعد هزيمة عسكرية فادحة، فعلى الرغم من ذلك فلم يكن ممكناً إرضاء روسيا إلا بحصولها على مكاسب كثيرة، غير أن العمليات التي قامت بها القوات المصرية، والتي كادت أن تستولي على آخر معقل للثوار اليونانيين، وتقضي نهائياً على الثورة فشلت هي الآخر بسبب تدخل الدول الأوروبية، وكانت السبب في إجهادها من خلال اتفاقها على رأي واحد⁹⁶.

3- موقف الدول الأوروبية من الثورة اليونانية:

كانت حركة الاستقلال اليونانية تمثل مسألة مبدأ بالنسبة للدول الأوروبية، خاصة تلك التي رغبة في الاحتفاظ بمبادئ التحالف المقدس كالنمسا، والتي كانت تعارض كل مجهود ثوري ضد السلطة الشرعية، بدت هذه الحركة كمظهر جديد للغليان والذي امتد إلى أجزاء من أوروبا، وكانت على هذا الأساس وفي أعين الانتصار الاحتفاظ بالوضع القائم الغير مشروع⁹⁷.

ومع ذلك ما دام الشعب اليوناني مسيحي ويعلن الثورة على حكم إسلامي، فإنها كانت تلقى الكثير من العطف الذي لم تحصل عليه الحركات الثورية الأخرى، وحتى لدى ذلك الجزء من الرأي العام الذي كان أكثر من غيره إصراراً على (المحافظة على النظام) في قرارات الحكومات وكان رد فعل الدول العظمى خاضعاً لتأثير مصالح كل منها، فنجاح حركة استقلال اليونان ستتابع بإضعاف جديداً للإمبراطورية العثمانية وربما تفككها⁹⁸.

كانت روسيا ترغب في نجاح الثورة اليونانية، ولم يكن للدوافع الاقتصادية إلا دوراً ثانوياً للغاية بتوجيه هذه السياسة، وحقيقة أن التجار والبحارة اليونانيين كانوا قبل سنة 1821م الوكلاء الرئيسيين للتجارة الروسية في البحر الأسود، وكانوا قد أوقفوا نشاطهم منذ بداية الثورة، فتسبب ذلك في شل العلاقات التجارية الروسية في هذه المنطقة، وكان هذا سبباً يدفع حكومة القيصر إلى الرغبة في الوصول إلى حل سريع لهذا الاصطدام، ولكنه كان من الضروري من ناحية أخرى أن يكون هذا الحل مطابقاً للمصالح الأساسية للإمبراطورية الروسية، وكان انتصار اليونانيين يخدم هذه المصالح مدامة روسيا ستصبح المستفيد الرئيسي من التفكك الإمبراطورية العثمانية، وكانت الامكانيات خطيرة بالنسبة للنمسا التي لم تكن تقدر على التخلي عن البلقان للنمسا، وكانت مقلقة كذلك بالنسبة لبريطانيا العظمى التي خشيت من أن يتزعزع سريعا تفوقها في البحر المتوسط، والتي كانت تخشى من تغلغل روسي في مناطق الشرق الأوسط وبالتالي من تهديد أمن الهند، ومع ذلك فقد كان في وسع بريطانيا العظمى أن تتعود على إضعاف الإمبراطورية العثمانية إذا ما تمكنت من أن تضمن نفوذاً مسيطراً على اليونان المستقلة، ولذلك فإن المصالح الانجليزية لم تكن تتفق في كل نقط مع مصالح النمسا⁹⁹.

وكانت هذه الامكانيات أقل خطراً بالنسبة لفرنسا، مدام الوضعية الإقليمية لأوروبا قد تقرر سواء بدونها أو ضدها، ومادام تفكك الإمبراطورية العثمانية قد يفتح الطريق لإجراء تعديلات إقليمية، ولنظام من التعويضات بين الدول العظمى يمكن للمهزمين في سنة 1815م من الحصول على فرصة مواتية تسمح بإعادة النظر جزئياً في المعاهدات، ولذلك فإن المسألة اليونانية لم تكن هي بذاتها ومن طبيعتها أن تؤدي إلى صعوبات دولية خطيرة بل كان ذلك مرتبطاً بنتائجها الممكنة والمتوقعة.

لقد أفرزت وأوجدت وضعاً دولياً سمح للدولة القيصريّة بإطلاق يدها في الدولة العثمانية لجني ثمار مشروعها التوسعي على حساب ممتلكات العثمانية¹⁰⁰، إذ بادر نقولا الأول إلى نقض معاهدة أكرمان بحجة مهاجمة السفن

العثمانية للقطع الروسية في معركة نافارين¹⁰¹، واستغلت روسيا قيام السلطان العثماني بقطع علاقاته مع فرنسا وبريطانيا، وإعلانه الجهاد كاحتجاج على معركة نافارين، بإعلان الحرب على الدولة العثمانية في أبريل 1828م¹⁰²، فاجتازت قواتها نهر بروث الذي يفصل روسيا عن الدولة العثمانية، واحتلت على الأفلاق والبغدان، كما احتلت قلاع قارص في آسيا.

أثبتت رسالة الحاج حسين باشا داي الجزائر في أزمير إلى حسين باشا تدهور العلاقات بين الدولة العثمانية ودول أوروبا بتاريخ 03 أبريل 1827م، كما حملت في طياتها أخبار نشوب حرب بين الدولة العثمانية وروسيا¹⁰³ التي حاولت أن تسيطر على الأمر وتكون صاحبة حصة الأسد، ولكي تمنع بريطانيا روسيا من السيطرة على القضية اليونانية دعت إلى عقد اجتماع في لندن في مارس 1829م حضرته فرنسا وبريطانيا، وأسفر عن توقيع معاهدة لندن الثانية، والتي نصت بأن تصبح اليونان دولة تتمتع بالحكم الذاتي تحت السيادة العثمانية، ولم رفض السلطان هذه المعاهدة تقدمت القوات الروسية إلى أدنة العثمانية، فوقفت على أبواب القسطنطينية، فوافق محمود الثاني على الدخول في مفاوضات مع روسيا أسفرت عن توقيع اتفاقية أدنة¹⁰⁴ في 14 سبتمبر 1829م، والتي نصت على مايلي¹⁰⁵:

1. تمنح اليونان الاستقلال بموجب اتفاقية لندن الأولى سنة 1827م، وتحدد حدود الدولة الجديدة بموجب اتفاق لاحق مع الدول الثلاث الموافقة على الاتفاقية، كما تعترف الدولة العثمانية باتفاقية لندن الثانية الموقعة في 22 مارس سنة 1829م.

2. يصبح لروسيا والدول التي لا تكون الدولة العثمانية في حالة حرب معها حق الملاحة في البحر الأسود، وحتى البر المتوسط عبر البسفور والدردنيل دون تفتيش الدولة العثمانية لسفنها.

3. تصبح إمارة الأفلاق والبغدان تحت السيادة، ويعين أمراءها مدى الحياة، ولا يعزلون إلا بموافقة روسيا، والدولة العثمانية، كما تتمتعان بالحكم الذاتي.

4. تمنح صربيا الاستقلال الذاتي المنصوص عليه في اتفاقية أكرمان.

5. تدفع الدولة العثمانية تعويضات لروسيا، وتندسحب القوات الروسية من الأفلاق والبغدان تدريجياً بالتوازن مع دفع التعويض.

6. يتمتع رعايا روسيا بحق التجارة في سائر أنحاء الدولة العثمانية دون قيد أو شرط، ويخضع التجار الروس لسلطة قناصل دولتهم فقط.

7. وفي 03 فيفري 1830م ثم توقيع اتفاق ثلاثي جديد في لندن نص على استقلال اليونان عن الدولة العثمانية استقلال تاماً مع تخطيط الحدود اليونانية، واعترف السلطان العثماني بهذا الاستقلال في 30 ماي 1830م، وتم إعلان اليونان كدولة مستقلة بزعامة الأمير أوتو¹⁰⁶ ملك بفاريا¹⁰⁷.

8. ساعدت معركة نافارين على استفحال المد القومي بدول البلقان، وامتداده إلى القوميات الأخرى مثل الصرب التي تأثرت بالماضي التاريخي ومساندة روسيا لها، بالإضافة إلى دور الكنيسة الأرثوذكسية في التوجيه والنصح بالانفصال النهائي عن الإمبراطورية العثمانية، كما أوضحت معركة نافارين الدور العملي والسياسي لمحمد علي باشا في تسير شؤون الدولة العثمانية، ومدى قدرته على التأثير في مسار ومعطيات الأحداث الدولية بمنطقة الشرق¹⁰⁸، أدت معركة نافارين إلى انحلال وتفكك الحلف المقدس بين الدول الأوروبية الذي أقره مؤتمر فيينا 1815م¹⁰⁹، وأصبح أساس السياسة الأوروبية في العلاقات الدولية، وعلى هذا الأساس لم يصبح للشرعية الدولية مكانة تذكر على الآمال والأمان القومي، وفي نفس الوقت طموحات ومطالب الشعوب قبل مصالح الدول، وهو ما أمكن على إحداث التغير بالنسبة للأوضاع السياسية بين الدول الأوروبية، ونتيجة التطورات التي حدثت في مواقف الدول الأوروبية تجاه الدولة العثمانية أدت إلى إحداث تضارب في المصالح، فمعارضة فرنسا وبريطانيا للسياسة الروسية إزاء الدولة

العثمانية التي ركزت على التوسع العسكري هدفة الوصول إلى المضائق والبحار الدافئة، سوف تكون خطر على المبادلات التجارية، وتهدد المواصلات الدولية التي تربط الدول الأوروبية بالهند والبلدان الشرق الأقصى، وبالتالي يصبح شرق أوروبا وشبه جزيرة البلقان منطقة حماية ووصاية روسية في إطار جامعة الشعوب السلافية، فنتج عن ذلك اختلال في التوازن الدولي¹¹⁰.

ثالثاً: سياسة المؤتمرات ضد الثورات القومية في أوروبا:

1- مؤتمر تروباو Troppau 23 أكتوبر 1820:

عقد لمؤتمر في مدينة تروباو، وحضره أعضاء الحلف المقدس امبراطور النمسا وقيصر روسيا وملك بروسيا¹¹¹، أما إنجلترا فقد عارض كاسلريه الدعوة إلى عقد مؤتمر وفسر ذلك خلال وثيقة رسمية مطولة في 05 ماي 1820م جاء فيها من قول كاسلريه: "...لقد كانت المحالفة بين الدول العظمى اتحاداً لاستعدادات جانب كبير من القارة الأوروبية وتحريره من السيطرة العسكرية الفرنسية...لم يقصد بها أن تكون اتحاداً لحكم العالم أو للإشراف على الشؤون الداخلية للدول الأخرى...والواقع أن شعورنا ليس واحداً، ولا يمكن أن يكون كذلك بالنسبة لجميع المسائل، فإذا وضعنا ونظمنا طرائق تفكير شعبنا ومشاربه تجعلنا نختلف عن غيرنا اختلافاً جوهرياً...ونحن سنقف في مكاننا عندما يتهدد نظام أوروبا خطر حقيقي، ولكننا لا يمكن أن نتصرف وفق مبادئ الحيطة المجردة القائمة على تكهنات..."، ويقصد كاسلريه أن المسألة الإسبانية والإيطالية مسألة داخلية لا تشكل خطراً على البلدان الأخرى، وأن لكل بلاد حق في تغيير شكل حكوماتها، وفضلاً عن هذا فإن الحكومة الإنجليزية لا تستطيع أن تتصرف دون تأييد برلمانها وشعبها¹¹²، لكن حضور إنجلترا في المؤتمر بواسطة سفيرها في فيينا لم يكن إلا من أجل المراقبة.

وأراد قيصر روسيا أن يعالج المؤتمر عدة قضايا تتعلق بثورات أمريكا الجنوبية وإسبانيا إضافة إلى القضية الإيطالية¹¹³، لكن مترنخ أصر أن يقتصر المؤتمر على المسألة الإيطالية، وقد نجح في ذلك¹¹⁴، وبعد مناقشة هذه المسألة أصدر المؤتمر بروتوكول تروباو الذي أكد حق الدول المشاركة في المؤتمر التدخل في شؤون الدول الأخرى¹¹⁵، وأن الدول التي يحدث فيه تغير في حكوماتها بسبب قيام ثورة بها ويتربط على هذا التغير تهديد للدول الأخرى تفقد بحكم الضرورة عضويتها في التحالف الأوروبي وتظل خارج التحالف إلى أن يُظهر الوضع الداخلي ضمانات تؤيد النظام القانوني أما إذا حدث تغير يهدد أمن الدول الأوروبية فعليه القيام بعمل مشترك سياسي أو عسكري لإعادتها إلى حظيرة التحالف الأوروبي¹¹⁶، وقد تقرر أيضاً السماح للنمسا بأن تتولى حل المشكلة الإيطالية لكي لا يتجراً في المستقبل أي شعب على تجاوز الثورة في حقوق العروش المشروعة، كما ندد البيان الذي أصدره المؤتمر بالثورات في إسبانيا وأمريكا الجنوبية وإيطاليا¹¹⁷، وقد احتجت فرنسا على هذا القرار بشيء من التحفظ، أما كاسلريه فقد أعان للمرة الثانية أن هذا المبدأ يمس استقلال الدول ويعرضها لإغارة الدول الأخرى عليها¹¹⁸ وأعلن أيضاً أن منشور تروباو "يعوزه الإدراك السليم"، وهكذا انتهى مؤتمر تروباو أعماله دون اتخاذ أي قرار نهائي بشأن إيطاليا وبانتظار حضور ملك نابولي للمشاركة في مؤتمر ليباخ الذي يعتبر امتداد لمؤتمر تروباو¹¹⁹.

2- مؤتمر لايباخ (ليباخ) Laibach في جانفي 1821.

تأجل مؤتمر تروباو من غير الوصول إلى قرار بشأن المسألة الإيطالية على أن يجتمع المؤتمر في جانفي عام 1821م في مدينة ليباخ على أن يُدعى لحضوره فرديناند الأول ملك نابولي لأن الدول الثلاث المتحالفة روسيا وبروسيا والنمسا رفضت المفاوضة مع الحكومة الثورية، وانعقد المؤتمر ما بين 08 جانفي و12 مارس 1821م، وقررت الدول الأوروبية المتحالفة أو بمعنى آخر أعضاء الحلف المقدس إلغاء دستور نابولي ثم عهدت إلى النمسا بمهمة تنفيذ هذا الإلغاء بالقوة العسكرية، ولذلك أرسلت النمسا جيشاً إلى نابولي¹²⁰ أخمد الثورة الدستورية وأعاد إلى فرديناند

سلطاته الاستبدادية، وقبل أن يختم المؤتمر أعماله استنجد به ملك سردينيا ضد رعاياه الثائرين فأرسلت النمسا الجيش الذي جمعته في لمبارديا لهذه الغاية لإخماد الثورة في بيدمونت، وأعيد بفضل هذا الجيش النظام القديم إلى سردينيا¹²¹.

خلال أعمال المؤتمر تواردت الأنباء عن اندلاع الثورة اليونانية في البلقان¹²²، ورغم محاولة القيصر الروسي الكسندر الأول فرض الثورة اليونانية على جدول أعمال المؤتمر، وذلك لرغبته في تحقيق مصالح روسيا في الدولة العثمانية بصفتها زعيم التحالف المقدس المدافع عن المسيحيين في وجه الأتراك المسلمين، إلا أنه اصطدم بالرفض النمساوي حيث اعتبر مترنيخ هذه الثورة جزءاً لا يتجزأ من الروح الثورية اليقاعية التي تشهدها أوروبا، كما كتب وزير الخارجية البريطاني كاسلري للقيصر الروسي: "إن اليونانيين ليسوا في الواقع سوى شعلة متطايرة من نار الثورة التي نشعر جميعاً بانتشارها في أوروبا ونعلم أنها لن تنته إلا بانفجار في كل مكان تضعف فيه لسبب أو لآخر سلطة الحكم العليا"¹²³، هذا الخطاب المحافظ من كاسلري للقيصر لم يم ثل بطبيعة الحال الموقف الرسمي البريطاني من الثورات، فبريطانيا كانت تحبذ الثورة في إسبانيا لأنها تزيد من فرص استقلال مستعمرات في العالم الجديد والتي ترتبط ببريطانيا معها بمصالح اقتصادية مهمة، ولم تكن شيطنة كاسلري للثورة اليونانية إلا لثني القيصر عن أطماعه في الدولة العثمانية، كما أن القيصر وجد حرجاً كبيراً من مناصرته للثورة في اليونان في الوقت الذي يجتمع فيه مع إمبراطور النمسا و ملكي بروسيا و نابولي للتصدي لبقية الثورات¹²⁴، وعلى هذا فإن مؤتمر ليبانخ انتهى دون أي تقدّم ملحوظ في مواقف الدول من الثورة اليونانية، لاسيما أن بريطانيا والنمسا أبلغا القيصر رفضهما الشديد للإنذار الذي وجهه للسلطان العثماني بسبب الثورة اليونانية كما أبلغاه أن سحب سفيره من الأستانة في أوت عام 1821م يتناقض وروح التضامن الأوروبي¹²⁵، ويبدو هنا موقف فرنسا الحذر الذي تجنّب الخروج عن الموقف الأوروبي العام من الثورة اليونانية خشية العزلة، إلا أنها لم تشارك الدول الأخرى التصريحات الناقدة لروسيا، وذلك حفظاً للعلاقة المميزة التي تجمع الملك الفرنسي لويس الثامن عشر بالقيصر الروسي منذ كان لاجئاً في بلاط القيصر طيلة عهد إمبراطورية نابليون¹²⁶، نتيجة لذلك ما لبثت الثورة اليونانية أن فشلت في البلقان لتندلع بقوة أكبر في المورة قاعدة اليونان.

وفي ماي 1821م انتهى المؤتمر أعماله بعد أن أعد منشوراً جاء فيه أن الهدف من التحالف الأوروبي إنما هو تأييد المعاهدات القائمة والمحافظة على السلام العام وتحقيق السعادة الأمم، ولكن الواقع لم يكن كذلك لأن هذا المؤتمر قد عمل على إرجاع النظام القديم بحذافيره على أساس الاعتراف من جديد بالحق الإلهي المقدس للملوك في الحكم¹²⁷.

3- مؤتمر فيرونا verona عام 1822م:

تفاقمّت الثورة في إسبانيا ومستعمراتها منذ عام 1820م مما استدعى أنظار الدول الأوروبية خاصة بعد أن أرغم الملك فرديناند السابع على إعلان الدستور في بلاده إلا أنه لم يتوقف ولو لبرهة عن تحريض الملكيين على قمع أعدائهم ومنافسهم أملاً في إنقاذ الملكية الشرعية من الثوار الرجعيين، وقد أدى هذا التحريض على نشوب الحرب الأهلية بين الفريقين مما جعل الامبراطورية الإسبانية بأسرها ميدان للفوضى والاضطراب، لذلك اتجهت أنظار الدول إلى هذا الخطر¹²⁸ خاصة فرنسا التي تهيأت حجة التدخل لها الظروف المتمثلة في موت وزير خارجية إنجلترا كاسلري، فدعت فرنسا إلى عقد مؤتمر دوي لمعالجة المشكلة الإسبانية، إلا أن موقف إنجلترا لم يتغير من سياسة التدخل في الشؤون الداخلية خاصة في إسبانيا لذلك وقف وزير الخارجية الجديد كاننج ضد هذه السياسة بشكل حازم وأرسل تعليماته إلى ممثل بريطانيا في المؤتمر الدولي الذي عقد في أكتوبر 1822م بمدينة فيرونا بإيطاليا بأن لا تشترك بريطانيا بأي مشروع للتدخل بالقوة أو التهديد، ومع معارضة بريطانيا الشديدة إلا أن أبرز مندوبي فرنسا في المؤتمر

الكاتب **شاتوبريان**¹²⁹ تمكن بمساعدة قيصر روسيا ومترنخ باستصدار قرار من المؤتمر في 30 أكتوبر دون موافقة بريطانيا تقرر بموجبه تأييد تدخل **لويس الثامن عشر** دبلوماسيا وعسكريا في إسبانيا.

وفي 18 جانفي 1823م أعلن الملك الفرنسي أمام مجلس النواب أن مئة ألف جندي فرنسي سيعدون للزحف على إسبانيا لإنقاذ أحد أحفاد الملك **هنري الرابع** وإعادة السلام إلى البلد الجار إسبانيا، وفي أفريل دخلت الجيوش الفرنسية إسبانيا، ووصلت مدريد في 04 ماي 1823م¹³⁰، ومن تم القضاء على آخر مقاومة التابعة للحكومة الأحرار الإسبانية في 31 أوت من العام نفسه، وبعد ثلاثة أشهر أعيد الملك فردناند السابع الذي كان أيد حكومة الأحرار في مدينة **قادس** إلى عرشه في مدريد وسط احتفالات تطال من فوقها حرب الجنود الفرنسيين¹³¹.

إن موقف وزير خارجية بريطانيا الجديد **كاننج** قد حطم وإلى الأبد نظام المؤتمرات الدولية، فإذا كان **كاسلريه** قد اشترط التدخل في شؤون دولة أوروبية ما بموافقة حاكمها أو ملكها فإن كاننج رفض مبدأ التدخل كليا، وأعلن على أوروبا أن تنتهج السياسة القائلة: "كل أمة ترضى مصالحها والله يراعنا جميعا"، وعندما طلب ملك إسبانيا الذي أعيد إلى عرشه من الحلفاء في ديسمبر 1823م عقد مؤتمر دولي جديد للبحث في شؤون المستعمرات الإسبانية في أمريكا الجنوبية وحركات التمرد فيها¹³² رفض كاننج إرسال مندوبي عن حكومته ففشل المؤتمر وحاول الاسكندر قيصر روسيا أن يدعوا إلى مؤتمر في غضون سنة 1824م للبحث في مسألة اليونان والدولة العثمانية رفض كاننج حضور المؤتمر مرة أخرى، وقفت بريطانيا والنمسا دون مناقشة القضية اليونانية خلال مباحثات المؤتمر، بينما ركزت سياسة وزير خارجية فرنسا على ترخيص التدخل العسكري في إسبانيا دون إثارة القضية اليونانية بأي شكل¹³³.

هذا الموقف الرسمي المتصلب لم يمنع العديد من مواطني الدولتين الفرنسية و البريطانية من التطوع في صفوف الثوار اليونان بل وقيادة جيوشهم البرية والبحرية، كان أشهرهم: "لورد بيرون Byron، والسير إدوارد تشرش Edward Church، ولورد ستانغوب Lord Stanhope البريطاني، والجنرال روش Roche، والكولونيل فابفويه Fabvier وفليب جوردان Philip Jourdin" الفرنسيين¹³⁴. ومع ذلك اجتمعت الدول الأربعة الكبرى الأخرى في **بترسبورغ** في جانفي 1825م لكن المؤتمر انفض في ماي دون الاتفاق على شيء بعد أن دب الخلاف وسوء التفاهم بين المؤتمرين فكان بذلك نهاية سياسة المؤتمرات¹³⁵.

فشلت سياسة المؤتمرات في تحقيق التفاهم بين الدول الأوروبية الكبرى سابقة الذكر أيضا بسبب اختلاف المصالح، ورغم المحاولات المتعددة لمنع تأثير الآراء الديمقراطية التي نجمت عن الثورة الفرنسية من التأثير في الدول الأخرى، فإن هذه المبادئ والآراء شكلت محور الحياة السياسية في أوروبا في أعقاب حروب نابليون، ولم يستطيع حكام أوروبا إرجاع عجلة التاريخ إلى الوراء، بمعنى أن الرغبة الرجعية التي تبنتها النمسا لإطفاء الثورات القومية التحريرية في أوروبا وإطفاء شمعنة نور الشعوب الطامحة للاستقلال وذلك من خلال التدخل في شؤونهم الداخلية، ولم تتوقف الدول الرجعية على تطبيق أهدافها في أوروبا فقط بل امتدت حتى العالم الجديد، وهذه أهداف كانت مرفوضة باستمرار من قبل إنجلترا.

الخاتمة:

يمكن اعتبار القومية على أنها تعبير سياسي يعني شعور الناس بالانتماء جميعاً إلى أمة واحدة، ويشمل هذا الشعور كذلك الإحساس بالولاء للأمة والاعتزاز بثقافتها وتاريخها، وفي العديد من الحالات الرغبة في الاستقلال الوطني، وارتبط نمو الحركات القومية في أوروبا منذ سقوط نابليون بظهور الحركات الدستورية لأن الملكية المطلقة العائدة لأوروبا بعد مؤتمر فيينا 1815م لم يعد لها مكان، والتغيرات التي طرأت على المجتمع الفرنسي والمجتمعات الأوروبية نتيجة الثورة الفرنسية لم يكن من الممكن أن تزول بمجرد انهيار الامبراطورية البونابرتية، والتي تمخضت عنها النتائج التالية:

- إن تسوية مؤتمر فيينا التي قامت على أساس التوازن الدولي وإرجاع الأسر القديمة إلى الحكم لم تنجح في حل جوهر المشكلات الأوروبية رغم محاولة الساسة الأوروبيين إنشاء رقابة للمحافظة على أسس التسوية التي وضعوها، غير أنهم أغفلوا رغبات الشعوب الأوروبية فأنشأوا دولاً لا تدعمها روابط اللغة، والدين، والعنصر، والمصالح المشتركة مثل تقسيم إيطاليا وألمانيا وبولندا، وسيادة النمسا على مجموعة من الأمم لا رابط بينها، وقد أدى هذا إلى نشوب صراع بين الشعوب المحكومة التي اتخذت القومية والديمقراطية شعاراً لها وبين الحكام الرجعيين، ولهذا تميزت العُشرية الثالثة من القرن التاسع عشر بظهور موجة من الثورات القومية ضد نظام الحكم السائد حينها.

- كانت المسألة الشرقية في البداية وليدة الصراعات الاستقلالية في البلقان ضد الامبراطورية العثمانية - المأزق الحقيقي أمام الحلف المقدس، ونظام مترنيخ بالذات، بعد أن أعاد مؤتمر فيينا عام 1815م الشرعية للأنظمة الملكية وللأسر المالكة القديمة في أوروبا، لأنها أظهرت التعارض الواضح بين الالتزام بحماية الوضع الراهن وشرعية الملوك في أوروبا من جهة، وبين مسألة مساندة ودعم حركات الاستقلال والتحرر في أوروبا والدولة العثمانية من جهة أخرى، فعلى سبيل المثال كان القيصر الروسي ألكسندر الأول (1801م / 1825م) متمسكاً أكثر من غيره بالشرعية، غير أنه لم يكن في الموقع الذي كان من المفترض أن يوجد فيه في الأزمة البلقانية حسب الحلف المقدس الذي انتهى حينها من تأسيسه؛ لذلك جاءت المسألة الشرقية لتضع بداية النهاية للتوافق الأوروبي الذي بدأ مع مؤتمر فيينا عام 1815م، بعد أن أدت تلك أزمات الشرق إلى جعل الأراضي العثمانية ميداناً مفتوحاً لهذه المسألة، وجعل من القوى العظمى تسهم مساهمة فعالة، ثم حصلت اليونان على استقلالها التام عام 1830م، وقد أنهى ذلك فصلاً مهماً من فصول المسألة الشرقية وشكلت حرب الروس وانفصال اليونان ضربة موجعة للدولة العثمانية التي كان عليها مواجهة الخطر القادم من الجنوب، وهو تحرك محمد علي باشا الذي استطاع السيطرة على بلاد الشام، وتمكن من تهديد الأناضول والآستانة نفسها، وهذا الأمر أدى إلى تعديلات جذرية في السياسة الأوروبية إزاء المسألة الشرقية.

- بدأ التراجع الفعلي للمد العثماني لمصلحة القومية الجديدة في القرن التاسع عشر بالثورة اليونانية 1821م، وقد كانت أولى الحركات التي حددت هويتها بقتل وطرده المسلمين من أراضيهم، فقدمت الثورة اليونانية نموذجاً اتبعته الثورات قومية لاحقاً ضد العثمانيين.

- وفي الأخير لاحظنا من خلال دراستنا هذه أن مواقف الدول الأوروبية من الحركات القومية التي ظهرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلاد كانت تختلف حسب نظام الحكم التي كانت خاضعة له، فقد رفضت معظم الحركات الخاضعة للسلطة المسيحية مثل الأسبانية والإيطالية والفرنسية والبلجيكية وعملت على قمعها، في حين دعمت واعتبرت نفسها حامية لليونانيين الذين كانوا خاضعين للخلافة العثمانية.

الهوامش:

¹ نور الدين حاروش، "محددات القومية في فكر ساطع الحصري وانعكاساتها على المواطنة"، مجلة العلوم القانونية والسياسية، المجلد 10، العدد 03، ديسمبر 2019، ص 31.

² الأديرة جمع دير ويقصد به مكان خاص عند النصرى ينزل فيه الرهبان والراهبات.

³ علي حيد سليمان، تاريخ الحضارة الأوروبية الحديثة، ط1، دار الواسط، بغداد - العراق، 1990، ص 224.

- قاوم الشعب الإسباني الاحتلال الفرنسي بعنف، وأدت هذه المقاومة إلى بداية حرب شبه الجزيرة فيما بعد في سنة 1808م، عندما انضمت بريطانيا إلى إسبانيا والبرتغال في حربهما ضد فرنسا، وتم طرد الفرنسيين من شبه الجزيرة عام 1814م، وخلال هذه الحرب، قام البرلمان الإسباني، الذي كان قد انتقل من مدريد إلى جنوبي إسبانيا، بإعداد دستور ديمقراطي للبلاد، حيث قلّص الدستور الجديد من

سلطة الكنيسة الكاثوليكية، كما زاد في الحقوق والحريات الفردية، لكنه سمح باستمرار الملكية الإسبانية، وعُرف مؤيدو الدستور باسم الأحرار.

4. زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر، ج2، دار الفكر العربي، القاهرة . مصر، ص 248.
5. إيطاليا كاسم جغرافي لم يكن إلا عام 1820م لأنه لم يكن للبلاد وحدة سياسية فلمبادري والبندقية في شمال كانت بيد النمسا، وبارما ومودينا وتوسكاني كانت تحت امرة حاكم من العائلة نمساوية، أما في الجنوب فكان الفرع الاسباني من عائلة بوربون يحكم قسما كبيرا من أراضي الصقليتين، وأما في الوسط فكانت تمتد أملاك البابا والتي وقفة سدا منيعا في وجه الاتحاد القومي بحيث لم يكن بالإمكان اخضاعه لأي سلطة زمنية، ولم تمضي 50 سنة حتى طردت النمسا وانتزعت من البابا قوته السياسية وتوحدت المملكة الايطالية؛ أنظر علي حيدر سليمان، المرجع السابق، ص 225.

6. Jean Et Lebrun François, Histoire De La Méditerranée ; Editions Du Seuil, Paris, s.d, p 310.

7. علي حيدر سليمان، المرجع السابق، ص 226.
8. المرجع نفسه، ص 226 . 227.
9. عبد المجيد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة العربية إلى مؤتمر فيينا، دار النهضة العربية، بيروت . لبنان، ص 249.
10. بيرونوفان، تاريخ العلاقات الدولية 1815. 1914، تر: (جلال يحيى)، ط1، دار المعارف، مصر، 1971، ص 58.
11. عبد المجيد البطريق وعبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص 249.
12. زين الدين الخفجي، الاستراتيجيات السياسية وأثرها في تاريخ العلاقات الدولية في العصر الحديث، دار الكتاب الحديث، القاهرة . مصر، 2009، ص 61.
13. هيربرت فيشر، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، تر: راشد زينب وأحمد عبد الرحيم مصطفى، مر: أحمد عزب عبد الكريم، (د.ط)، دار النهضة، بيروت، 1976، ص 329- 330- عبد الرحمان عبد الغني، مدخل في تاريخ الديمقراطية في أوروبا، مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله، 2010، ص 150- 151.
14. المتاريس: هي استحكامات تمتد على كل المحيط الداخلي للشرفات المسننة، أو أماكن ناتئة ومرتفعة.
15. لويس فيليب (1773- 1850م): كان ملك فرنسا في الفترة من 1830 إلى 1848م، وأطلق عليه اسم الملك المواطن ولد في باريس، تعاطف مع الأفكار الديمقراطية للثورة الفرنسية، وانضم للحرس الوطني في بداية التمرد، ثم أخذ رتبة فريق، واشترك في مؤامرة ضد الجمهورية واضطر للرحيل عن فرنسا عام 1814م، ثم عاد إلى فرنسا واسترجع مزارعه الواسعة، ونودي به الملك المواطن لفرنسا بعد رحيل الملك شارل العاشر أثناء ثورة جويلية عام 1830م، بعد هذه الواقعة بأسبوع توج ملكا على فرنسا، ولكنه لم يكن محبوبا من جميع طبقات الشعب الفرنسي أثناء فترة حكمه التي دامت 18 سنة حيث عارضه دعاة الشرعية بسبب ولائهم لسلالة الملك شارل العاشر، كما عارضه الجمهوريون بسبب أساليبه الاستبدادية، وتميزت فترة حكمه بالرخاء ولكنها تميزت أيضا بالرقابة الشديدة، ثم اندلعت ثورة 1848م، بسبب رفضه إصلاح قوانين الانتخابات، وأجبر في النهاية على التخلي عن العرش وهرب إلى إنجلترا.
16. نفس المرجع، ص 330.
17. وليم الأول (1843 – 1872م): أول ملك لمملكة هولندا الحالية، وكان ابناً للأمير أورانج وليم الخامس، وبسبب الاضطرابات داخل البلاد تنازل عن عرش هولندا في 1840م لابنه وليم الثاني.
18. بيرونوفان، المرجع السابق، ص 64.
19. هيربرت فيشر، المرجع السابق، ص 331.
20. ليوبولد: أمير ألماني وزوج سابق لابنة ملك إنجلترا وكان يقيم في لندن.
21. المرجع نفسه، ص 331- 332.
22. هيربرت فيشر، المرجع السابق، ص 332.
23. زينب راشد عصمت، المرجع السابق، ص 268.
24. تايلور، الصراع على سيادة أوروبا 1848 . 1918، تر: (جتكر فاضل)، المركز الثقافي العربي، 2009، ص 6.
25. فرنسوا شارل موجل، تاريخ العلاقات الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار الهلال، بيروت، 2010، ص 23.
26. أ. ج. جرانت هارولد تمبلي، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين 1789- 1950، تر: (فهي بهاء)، ط6، مؤسسة سجل العرب، القاهرة . مصر، د.ت، ص 313- 314.

27. المقرحي، تاريخ أوروبا الحديث، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بن غازي- ليبيا، 1996، ص 30
28. شارل موجل وبأكتو، تاريخ العلاقات الدولية، ط1، دار الهلال، بيروت، 2010، ص 23.
29. المقرحي، المرجع السابق ص 388.
30. المرجع نفسه، ص ص 389-390.
31. المرجع نفسه، ص 397.
32. شار موجل وبأكتو، مرجع سابق، ص 24.
33. نينلالكسندروفنا دولينا، الامبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية في الثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر، تر: (أنور محمد إبراهيم)، المجلس الأعلى للثقافة، 1999، ص 153.
34. البلقان كلمة تركية معناها **الجبل** تضم ألبانيا وبلغاريا واليونان والقسم الأوروبي من أراضي تركيا (تراقيا)، والبوسنة والهرسك ومقدونيا وأجزاء من كرواتيا وسلوفينيا ويوغوسلافيا، وتبلغ مساحتها نحو 551 ألف كلم مربع، **للمزيد أنظر:** مسعود خواند، الموسوعة التاريخية الجغرافية (ألمانيا - أوروبا)، د.م.ن، بيروت - لبنان، 1998، ج5، ص 293-294.
35. للاطلاع أكثر حول معاملة الدولة العثمانية للأقليات أنظر: كمال السعيد حبيب، الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية (622م-1908م)، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002، ص 394-413.
36. حقي العظم، تاريخ حرب الدولة العثمانية مع اليونان، ط1، مطبعة الترقى، مصر، 1902، ص 5-6.
37. هي شبه جزيرة، تقع في اليونان.
38. أكمل الدين احسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر: (صالح شعباوي)، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، 1999، ص 91-92.
39. محمد قاسم وحسين حسني، تاريخ القرن التاسع عشر، د.ط، دار الكتاب العربي، مصر، 1954، ص 137.
40. المرجع السابق، ص 137.
41. المرجع نفسه، ص 137.
42. محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981، ص 411.
43. أكمل الدين احسان أوغلي، المرجع السابق، ص 92.
44. **الميثولوجيا:** ويقصد بها علم الأساطير القديمة.
45. المرجع السابق، ص 92.
46. نور الدين حاطوم، تاريخ الحركات القومية (يقظة القوميات الأوروبية)، ط2، دار الفكر، مصر، 1979، ج1، ص 141-143.
47. المرجع نفسه، ص 144.
48. المرجع السابق، ص 144-145.
49. **الحنطة:** هيحبوب نشوية شبيهة بالقمح، يزرعها الفلاحون في المناطق الجافة والجبلية حيث لا ينمو القمح عادة. ولها سنابل هشة في الوسط، وبعد درسها تبقى الأجزاء الورقية الصلبة التي تغلف الحبة، وقد يكون لون غلافها أبيض أو أسود، فتطحن للحصول على دقيق للخبز أو لإطعام الحيوانات.
50. المرجع نفسه، ص 145-146.
51. **الماسونية:** هي منظمة سرية محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وجمع أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم، يوثقهم عهد بحفظ الأسرار ويجتمعون بما يسمى **بالمحافل** للتخطيط والتكليف بالمهام، لم يعرف التاريخ منظمة سرية أقوى نفوذاً من الماسونية، فلها محافل في كل أنحاء العالم تقريباً، حيث تستقطب هذه المحافل الشخصيات المؤثرة في كل بلد لضمان سيطرتها عليه، وهي تسيطر على بعض الجمعيات والمنظمات الدولية ومنظمات الشباب، وبعض وسائل الإعلام ودور النشر والصحافة في العالم، ويبيدها الكثير من موارد الاقتصاد ووسائل الإنتاج في العالم. **للمزيد عنها أنظر:** عبد الرحمان الدويري، اليهودية والماسونية، ط1، دار السنة، القاهرة، 1994. **وأنظر أيضاً:** أحمد عبد الغفور العطار، الماسونية، ط3، طبعة خاصة لرابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، 1978.
52. **أوديسا:** ميناء بحري في أوكرانيا، يقع في الجنوب الغربي لساحل أوكرانيا، بالقرب من الحدود الرومانية، على البحر الأسود، على بعد 51 كم جنوب غرب نهر دنيبر.

53. **بوخارست:** هي عاصمة رومانيا وأكبر مدنها، تعتبر المركز الرئيسي للدولة في التجارة والثقافة، تقع جنوب شرقي رومانيا على نهر ديموفيتا.
54. نور الدين حاطوم، المرجع السابق، ص 146.
55. كلمة يونانية معناها جمعية أخوية.
56. أحمد آق كوندزو وسعيد أوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، إسطنبول، 2008، ص 393.
57. علي محمد محمد الصلاحي، عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التوزيع الإسلامية، القاهرة، 2001، ص 595-596.
58. المرجع نفسه، ص 326.
59. أحمد آق كوندزو وسعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص 394.
60. المرجع السابق، ص 394.
61. المرجع نفسه، ص 394.
62. أكمل الدين احسان أوغلي، المرجع السابق، ص 94.
63. أحمد آق كوندزو وسعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص 394-395.
64. آمال السبكي، أوروبا في القرن التاسع عشر، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1989، ص 196-197.
65. المرجع نفسه، ص 197-198.
66. المرجع نفسه، ص 198.
67. روبر ما نتران، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993، ص 37.
68. أكمل الدين احسان أوغلي، المرجع السابق، ص 93.
69. المرجع السابق، ص 93-94.
70. ممدوح نصار وأحمد وهبان، ، السياسية التاريخ الدبلوماسية والعلاقات بين القوى الكبرى 1815-1991، www.kotobarabia.com، ص 61-62.
71. **سانت بطرسبرج:** هي ثاني كبريات مدن روسيا، وكانت تسمى لينينغراد، تقع المدينة عند مصب نهر النيفا في خليج فنلندا على دائرة العرض 60° شمالاً، موقعها الشمالي يجعل ساعات النهار قصيرة في فصل الشتاء، أما في فصل الصيف، فإن ساعات النهار تطول وتكون ليالها بيضاء لمدة ثلاثة أسابيع تبدأ من شهر جويلية، فلا يعمها الظلام الكامل أبداً.
72. محمد قاسم وحسين حسني، المرجع السابق، ص 139.
73. ممدوح نصار وأحمد وهبان، المرجع السابق، ص 62.
74. محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 414 - المكتبة الوطنية الجزائرية، مج 3204، الملف الأول، الوثيقة 08.
75. أكمل الدين احسان أوغلي، المرجع السابق، ص 94.
76. **كريت:** هي جزيرة يونانية في البحر الأبيض المتوسط، وتقع الجزيرة على مسافة 97 كم جنوبي بيليبونيسوس، شبه الجزيرة الجنوبية لليونان، تبلغ مساحتها 8336 كم²، وهي أكبر جزر اليونان، وعاصمتها خانيا.
77. مدينة بحرية يونانية تقع في شبه جزيرة مورا، قليلة السكان، اشتهرت بتدمير الدول الأوروبية المتحالفة للأساطيل المصرية والعثمانية والجزائرية سنة 1827م.
78. **إبراهيم باشا:** هو إبراهيم بن محمد علي باشا قائد بعيد المطامح، وُلد في نصرتلي بتركيا، وقدم مصر مع طوسون بن محمد علي سنة 1805م، فتعلم بها، وأرسله أبوه سنة 1815م في حملة إلى الحجاز ونجد، ثم جعله قائدا للحملة المصرية في حرب المورة، وفي سنة 1831م سَيره بجيش إلى الشام، فاستولى على عكا ودمشق وحمص وحلب وانقادت له بلاد الشام، فوجهت الدولة التركية جيشا لصدّه وتحديد طموحاته، فانتصر عليه في الاسكندرونه، وتوغل في الأناضول، فتجاوز جبال طوروس، وقارب الآستانه، فتدخلت الدول الأجنبية، خوفا على مصالحها، في حالة سقوط الدولة التركية في يده، وعقدت معاهدة **كوتاهية** في 1833م، وهي تقضي بضم الشام إلى مصر، وتولي إبراهيم عليها، وقد جعل عاصمته أنطاكية، ثم نقض الأتراك المعاهدة وقتلوه ولكنه تغلب عليهم، وعندما تولى السلطان عبد المجيد الحكم عام 1838م اتفق مع الإنجليز على إخراج إبراهيم من الشام (سوريا) فانتهى الأمر بخروجه وعودته إلى مصر سنة 1840م، وتنازل له أبوه محمد علي عن إمارة الديار المصرية عام 1848م، ووافقت الدولة العثمانية على هذا الإجراء، فزار الآستانه ومرض بعد إصابه، وتوفي بمصر، قبل وفاة أبيه. ولمعرفة أكثر أنظر: محمد صبرى، المرجع السابق، ص 114-118. وعن حملة إبراهيم

- باشا على سوريا أنظر: مؤلف مجهول، مذكرات تاريخية عن حماة إبراهيم باشا على سوريا، تحقيق وتقديم: (أحمد غسان سبانو)، د.ط، د.م، د.ت.
79. أكمل الدين احسان أوغلي، المرجع السابق، ص 42.
80. تقع في نهاية الخليج الغربي شمال شبه جزيرة مورا.
81. تقع وسط جزيرة مورا.
82. تقع في رأس الخليج شمال جزيرة مورا.
83. محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 415.
84. حقي العظم، تاريخ حرب الدولة العثمانية مع اليونان، ط1، مطبعة الترقى، مصر، 1902، ص 14.
85. يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، (د.ط)، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 2010، ج 1، ص 675.
86. أثينا عاصمة اليونان ومن أشهر المدن التاريخية في العالم، تقع أثينا على سهل قرب النهاية الجنوبية لشبه جزيرة أتيكا التي تمتد من الجنوب الشرقي لليونان إلى بحر إيجه، ويحد أثينا هلال من الجبال التي يبلغ ارتفاعها 1400م من جهة الغرب والشمال والشرق، وتبعد نحو ثمانية كيلومترات عن بيرايوس (بيريه) أكبر موانئ اليونان.
87. محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 416.
88. المكتبة الوطنية الجزائرية، مج 3204، الملف الأول، الوثيقة 24.
89. **نقولا الأول** (1796-1855) : كان قيصرًا لروسيا من عام 1825م حتى وفاته، وقد عُرف بحكمه القاسي رغم أن عددًا من الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية المهمة قد تمت في عهده.
90. المصدر نفسه، ص 417.
91. يلماز أوزتونا، المصدر السابق، ج 2، ص 09.
92. مجمود شاكر، التاريخ الإسلامي (العهد العثماني)، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 165.
93. محمد فريد بك، المصدر السابق، صص 420-421.
94. أكمل الدين احسان أوغلي، المرجع السابق، ص 94.
95. المكتبة الوطنية الجزائرية، مج 3204، الملف الأول، الوثيقة 04.
96. أكمل الدين احسان أوغلي، المرجع السابق، ص 94.
97. بيير رونوفان، المرجع السابق، ص 110.
98. المرجع نفسه، صص 110-111.
99. المرجع نفسه، ص 111.
100. عبد القادر مولاي، "الصراع العثماني الأوروبي خلال القرن 19م وانعكاساته على الممتلكات العثمانية"، مجلة العصور، ع 21، جويلية - ديسمبر، جامعة وهران، الجزائر، 2013، ص 178.
101. ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 365.
102. المكتبة الوطنية الجزائرية، مج 3204، الملف الأول، الوثيقة 37، المصدر السابق.
103. المصدر نفسه 37.
104. **أدرنة**: مدينة تركية قديمة، تعرف رسميًا بأدرينوبل، وكانت العاصمة الأوروبية للدولة العثمانية منذ عام 1361م، حتى فتح الأتراك القسطنطينية (إسطنبول) عام 1453م، وتقع في الركن الشمالي الغربي من تركيا، قرب الحدود البلغارية.
105. السيد محمد سليم، التطور السياسي في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط1، دار الأمن، القاهرة - مصر، 2002، ص 77.
106. **والملقب بأوتو الأول** (1815-1867): ولد في سالزبرج في النمسا، أمير بافاريا أصبح أول ملك على اليونان بعد أن آلت لليونان من الأتراك في عام 1830م، كان أوتو والشعب اليوناني مستعدين للتحالف مع الروس لمحاربة الأتراك خلال حرب القرم ما بين عامي 1853 و1856م، ولكن بريطانيا وفرنسا أرسلتا قوات إلى اليونان ومنعتا قيام مثل هذا التحالف ضد الأتراك، واعتبر اليونانيون أوتو المسؤول عن فشل هذه الخطة، وعزلوه عن العرش في عام 1862م.
107. المرجع نفسه، ص 78.
108. عبد القادر مولاي، المرجع السابق، ص 178-179.

109. ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 367.
110. عبد القادر مولاي، المرجع السابق، ص 179.
111. محمد مظفر الأدهمي، أوروبا في القرن التاسع عشر دراسة في التاريخ والفلسفة، ط1، مكتبة المعارف، الرباط، 1985، ص 78.
112. زين الدين الخفجي، المرجع السابق، ص 59 - 61.
113. المرجع نفسه، ص 61.
114. محمد مظفر الأدهمي، المرجع السابق المرجع السابق، ص 79.
115. المرجع نفسه، ص 81.
116. أمال السبيكي، المرجع السابق، ص 171.
117. محمد مظفر الأدهمي، المرجع السابق المرجع السابق، ص 79.
118. محمد قاسم وحسين حسني، تاريخ القرن التاسع عشر، دار الكتاب العربي، مصر، 1954، ص 68.
119. محمد مظفر الأدهمي، المرجع السابق المرجع السابق، ص 79.
120. زين الدين الخفجي، المرجع السابق، ص 63.
121. المرجع نفسه، ص ص 63 - 64.
122. عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر مصر 1517 - 1801، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 1980، ص ص 77 - 78.
123. إميل خوري، عادل إسماعيل: السياسة الدولية في الشرق العربي من سنة 1789م - 1958م، دار النشر للسياسة و التاريخ، بيروت، 1960، ج2، ص ص 19 - 20.
124. جميل عبيد، قصة احتلال محمد علي لليونان 1823 - 1827، (د.ط)، لهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990، ص 50.
125. إميل خوري، عادل إسماعيل، مرجع سابق، ص 12.
126. المرجع نفسه، ص 13.
127. نفسه، ص 63. 64.
128. محمد قاسم وحسين حسني، المرجع السابق، ص 68.
129. شاتوبريان، فرانسوا رينيه دو (1768. 1848م): ولد سان مالو في شمالي فرنسا، واحد من أهم الشخصيات في الأدب الفرنسي الرومانسي، نُشرت السيرة الذاتية لشاتوبريان ذكريات من وراء القبر بعد موته بقليل، شغل عدة وظائف دبلوماسية، وكان وزير خارجية فرنسا عام 1823م.
130. المرجع نفسه، ص 68.
131. محمد مظفر الأدهمي، المرجع السابق المرجع السابق، ص 81. 82.
132. وكان موقف الولايات المتحدة من التدخل الدول الاتحاد الأوروبي في الشؤون الداخلية للدول الآخر إصدار مبدأ منور وهو بيان أعلنه الرئيس الأمريكي جيمس مونرو في رسالة سلمها للكونجرس الأمريكي في 2 ديسمبر 1823م، نادى هذا مبدأ بضمان استقلال كل دول نصف الكرة الغربي ضد التدخل الأوروبي بغرض اضطهادهم، أو التدخل في تقرير مصيرهم، ويشير المبدأ أيضاً إلى أن الأوروبيين الأمريكيين لا يجوز اعتبارهم رعايا مستعمرات لأي قوى أوروبية في المستقبل، والقصد من هذا البيان هو أن الولايات المتحدة لن تسمح بتكوين مستعمرات جديدة في الأمريكتين، بالإضافة إلى عدم السماح للمستعمرات التي كانت قائمة بالتوسع في حدودها.
133. عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص ص 80 - 81.
134. إميل خوري، عادل إسماعيل، المرجع السابق، ص 22.
135. نفسه، ص 82. 83.